عقل المقاومة

204

All rights reserved to Iraq Center for Studies

جميع الحقوق محفوظة لمركز العراق للدراسات

مـركز العـراق للدراســات

Center Of Iraq For Studies

◄ بغداد ـــــــــــــــــــــــــــــــ +964 7707961315

◄ المكتبة . بغداد ـــــــــــــــــــــــــــــــ +964 7714023036

www.markazaliraq.net info@markazaliraq.net

تصميم الغلاف والإخراج الفني

أحمد الهاشمي Ahmad Al-hashemi

العنوان: العراق ـ النجف الأشرف ـ حي المعلمين

Tel: 07702781435 **Email:** ali.molaa14@gmail.com

عقل المقاومة

اعداد

طالب رحمة الساعدي

204

عقل المقاومة

تأليف: طالب رحمة الساعدي
صاحب الامتياز: محمد صادق الهاشمي
الناشر: مركز العراق للدراسات
المطبعة: الساقي للطباعة والتوزيع
رقم الاصدار: 204
سنة الطبع: 1447هـ 2026م
قطع الورق: وزيري 17×24
تصميم الغلاف والإخراج الفني: أحمد الهاشمي

The Opinions And Ideas In The Book Doesn't Represent Necessarily The Institute Of Iraq Center for studies

الآراء والأفكار الواردة في الكتاب لا تمثل بالضرورة رأي مركز العراق للدراسات

مـركز العـراق للدراســات
Center Of Iraq For Studies
المركز: العراق ـ بغداد ـ كرادة ـ العرصات
المكتبة: بغداد ـ شارع المتنبي ـ قيصرية مصرف الرشيد ـ البناية البغدادية

فهرس العناوين

فهرس العناوين ٥
الدافع ٩
البحث ١ ..... ١١
البحث ٢ ..... ١٤
البحث ٣ ..... ١٧
نتيجة البحث ٢١
ضرورة المقاومة ١ ..... ٢٢
مبادئ المقاومة ١ ..... ٣٩
مبادئ المقاومة ٢ ..... ٤٢
المبدأ الاول: الكفر بالطاغوت... ..... ٤٢
مبادئ المقاومة ٣..... ٤٦
المبدأ الثاني: عدم الولاية للظالمين والكفار ٤٦
وفي معنى «الاولياء او الولي» ٤٧
مبادئ المقاومة ٤ ..... ٥٠
المبدأ الثالث: عدم الركون ٥٠
٢ ـ المراد من «الركون» ٥٢
أ ـ الركون في اللغة ٥٢
ب ـ الركون عند صاحب الميزان ٥٣
ج ـ المراد من «الركون» على لسان الفقهاء..... ٥٤
النتيجة ٦٠
مسائل فقهية ٦١

آليات المقاومة ١ ..... ٦٦
آليات المقاومة ٢ ..... ٧١
آليات المقاومة ٣ ..... ٧٥
الانتظار ٧٥
مفهوم الانتظار ٧٥
الانتظار يعني التأهب التام ٧٥
١ـ التزكية الفردية ٧٦
٢ـ التكافل الاجتماعي ٧٧
٣ـ عدم الانصهار في بوتقة الفساد ٧٨
انه من سليمان ١ ..... ٨٤
الاول: «أنه من سليمان» ٨٤
خلاصة المقطع: كلام موجّه لإخوتي وأخواتي المجاهدين ٨٥
الاول: حقيقة المجاهدين ٨٥
الثاني: مكانة الجمهورية الإسلامية ٨٦
الثالث: ضرورة وجود القائد ٨٦
الرابع: ضرورة الدفاع ٨٦
انه من سليمان ٢ ..... ٨٧
الثاني ٨٧
الخلاصة: مبادئ فرقة «الجمجمة لله» ٨٩
المبدأ الأول: خدمة الإسلام ٩٠
المبدأ الثاني: حق الشهداء ٩٠
المبدأ الثالث: القوات المسلحة ٩٠
انه من سليمان ٣ ..... ٩١
الثالث ٩١
الخلاصة: الوصية التدبيرية ٩٣
انه من سليمان ٤ ..... ٩٥

فهرس العناوين ٧
الرابع: جندي الإسلام من برج المراقبة ٩٥
الخلاصة ٩٦
الخامس: عوائل الشهداء ٩٧
الخلاصة ٩٨
انه من نصر الله ١ ..... ٩٩
اعرفوا الحقّ ١٠٠
انصروا الحقّ ١٠٠
كربلاء رمز الصراع بين الحقّ والباطل ١٠١
تجلّيات الحقّ: نصرة فلسطين ١٠٢
ألسنا على الحقّ ١٠٣
انه من نصر الله ٢ ..... ١٠٤
الثانية: طاعة الوليّ في زمن الغيبة ١٠٤
حادثة التحكيم في صفّين ١٠٤
المشكلة: عدم طاعة الإمام عليه السلام ١٠٥
طاعة وليّ الأمر ١٠٦
انه من نصر الله ٣ ..... ١٠٨
الثالثة: مقاومتنا روحها حسينيّة ١٠٨
مقاومتنا أسّست على التقوى ١٠٨
التكليف الشرعيّ ثقافة كربلاء ١٠٩
إخلاص المسيرة حسينيّ ١١٠
تحمّل التضحيات حسينيّ ١١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خيرخلقه محمد واله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على اعدائهم اجمعين الى قيام يوم الدين.

الدافع

الساعة الثانية عشر بعد منتصف ليلة الحادي عشر من شهر صفر الخير، والناس بين سائر على الأقدام نحو قبلة الأحرار وسيد الشهداء سلام الله عليه، وخادم في أحد المواكب التي انتشرت على طول الطرق المؤدية إلى كربلاء المقدسة...

سألتُ أحد برامج الذكاء الاصطناعي، سؤال عفوي مفاده...

مَن لُقِبَ بـ «عقل المقاومة»؟؟؟

فكان جوابه...

«هناك عدة شخصيات لُقبت بـ «عقل المقاومة» في سياقات مختلفة، ولكن من أشهرهم:

١. قاسم سليماني: كان قاسم سليماني قائدًا عسكريًا إيرانيًا بارزًا، ولُقب بـ «عقل المقاومة» بسبب دعمه للمقاومة في المنطقة.

٢. حسن نصر الله: حسن نصر الله هو الأمين العام لحزب الله اللبناني، ولُقب بـ «عقل المقاومة» بسبب دوره الكبير في قيادة المقاومة اللبنانية ضد الاحتلال الإسرائيلي.....».

فتولّد لديّ دافع للبحث والمناقشة حول هذا العنوان المهم في حياة

الإنسان بصورة عامة، فضلاً عن الشباب المجاهدين المدافعين عن الدين والمسلمين، والواقفين بوجه قوات الاستكبار العالمي أمريكا وإسرائيل «الشيطان الأكبر»...

فذهبتُ إلى مكتبتي المحمولة في جهازي الحاسوب أتصفح المكتبات والمعلومات الالكترونية الموجودة عندي....

فتذكرت أن مصطلح «عقل المقاومة» مركب من كلمتين وهما «عقل» و«المقاومة» فلابد من معرفتهما كلاً على حدة... ثم ادمجهما فتتضح صورة المركب منهما «عقل المقاومة»....

البحث ١

وقعت عيني على كتاب ميزان الحكمة للشيخ الريشهري رحمه الله بواسع رحمته... فتصفحتُ ما ذكره تحت مفردة «العقل»...

فكانت من أوائل الروايات، ما ورد عن **الإمامُ الكاظمُ** عليه السلام: إنَّ اللّهَ تَبارَكَ وتَعالىٰ بَشَّرَ أهلَ العَقلِ والفَهمِ في كِتابِهِ، فقالَ: ﴿فَبَشِّرْ عِبادِ * اَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدٰاهُمُ اللّٰهُ وأُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾ وعنه عليه السلام: إنَّ اللّٰهَ يَقولُ: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كٰانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[١] يَعني العَقلَ، وقالَ: ﴿ولَقَدْ آتَيْنٰا لُقْمٰانَ الْحِكْمَةَ﴾[٢] الفَهمَ والعَقلَ.[٣]

ثم عرفتُ ان اول شيء خلقه الباري تبارك وتعالى هو العقل، لما ورد عن:

. **رسولُ اللّهِ** صلى الله عليه وآله: أوَّلُ ما خَلَقَ اللّهُ العَقلَ.[٤]

. **الإمامُ الصّادقُ** عليه السلام: إنَّ اللّهَ جلَّ ثَناؤهُ خَلَقَ العَقلَ، وهُوَ أوَّلُ خَلقٍ خَلَقَهُ مِنَ الرُّوحانيّينَ عَن يَمينِ العَرشِ مِن نورِهِ.[٥]

. **رسولُ اللّهِ** صلى الله عليه وآله: إنَّ اللّهَ خَلَقَ العَقلَ مِن نورٍ مَخزونٍ مَكنونٍ في سابِقِ عِلمِهِ الّذي لَم يَطَّلِعْ عَلَيهِ نَبِيٌّ مُرسَلٌ ولا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ.[٦]

---

(١) ق: ٣٧.

(٢) لقمان: ١٢.

(٣) تحف العقول: ٣٨٥.

(٤) بحار الأنوار: ٨/ ٩٧/ ١.

(٥) الخصال: ١٣/ ٥٨٩.

(٦) بحار الأنوار: ٣/ ١٠٧/ ١.

ثم عرفتُ حقيقةَ العقل من خلال ما ورد عن:

. **الإمامُ الصّادقُ** عليه السلام: خَلَقَ اللّٰهُ تَعالىٰ العَقلَ مِن أربَعَةِ أشياءَ: مِنَ العِلمِ، والقُدرَةِ، والنّورِ، والمَشيئَةِ بِالأمرِ، فجَعَلَهُ قائماً بِالعِلمِ، دائماً في المَلَكوتِ.[١]

. **الإمامُ عليٌّ** عليه السلام: العَقلُ أقوىٰ أساسٍ.[٢]

. **عنه** عليه السلام: العَقلُ مَركَبُ العِلمِ، العِلمُ مَركَبُ الحِلمِ.[٣]

. **عنه** عليه السلام: العَقلُ مُنَزِّهٌ عَنِ المُنكَرِ آمِرٌ بِالمَعروفِ.[٤]

. **عنه** عليه السلام: العَقلُ مُصلِحُ كُلِّ أمرٍ.[٥]

. **عنه** عليه السلام: بِالعَقلِ صَلاحُ كُلِّ أمرٍ.[٦]

. **عنه** عليه السلام: العَقلُ حُسامٌ قاطِعٌ.[٧]

. **عنه** عليه السلام: العَقلُ ثَوبٌ جَديدٌ لا يَبلىٰ.[٨]

. **عنه** عليه السلام: العَقلُ رُقِيٌّ إلىٰ عِلِّيِّينَ.[٩]

. **عنه** عليه السلام: العَقلُ رَسولُ الحَقِّ.[١٠]

. **عنه** عليه السلام: العَقلُ أفضَلُ مَرجُوٍّ، الجَهلُ أنكىٰ عَدُوٍّ.[١١]

---

(١) الاختصاص: ٢٤٤.

(٢) غرر الحكم: ٤٧٥.

(٣) غرر الحكم: ٨١٦ـ٨١٧.

(٤) غرر الحكم: ١٢٥٠.

(٥) غرر الحكم: ٤٠٤.

(٦) غرر الحكم: ٤٣٢٠.

(٧) نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٤.

(٨) غرر الحكم: ١٢٣٥.

(٩) غرر الحكم: ١٣٢٥.

(١٠) غرر الحكم: ٢٧٢.

(١١) غرر الحكم: ٤٧٩ـ٤٨٠.

. **عنه** عليه السلام: العَقلُ يُحسِنُ الرَّوِيَّةَ.[١]

. **عنه** عليه السلام: العَقلُ يوجِبُ الحَذَرَ، الجَهلُ يَجلِبُ الغَرَرَ.[٢]

وفي نهاية الساعة وقفتُ على رواية مهمة جداً جداً وقد شغلت تفكيري لفترة، مفادها ما ورد عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ثُمَّ قَالَ وعِزَّتِي وجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ ولَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أُحِبُّ أَمَا إِنِّي إِيَّاكَ آمُرُ وإِيَّاكَ أَنْهَى وإِيَّاكَ أُعَاقِبُ وإِيَّاكَ أُثِيبُ.[٣]

---

(١) غرر الحكم: ٤٩٥.

(٢) غرر الحكم: ٨١٤ـ٨١٥.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي (ط ـ الإسلامية) ـ تهران، ط٤، ١٤٠٧ ق. ج١ ص١٠.

البحث ٢

الرواية الاخيرة دفعتني للبحث اكثر في حقيقة وماهية العقل، فوجدتُ ان العلامة المجلسي رضوان الله عليه قد فصّل الكلام في بيان ماهية العقل، حيث يقول:

«إن العقل هو تعقل الأشياء وفهمها في أصل اللغة، واصطلح إطلاقه على أمور:

الأول: هو قوة إدراك الخير والشر والتميز بينهما، والتمكن من معرفة أسباب الأمور ذوات الأسباب، وما يؤدي إليها وما يمنع منها، والعقل بهذا المعنى مناط التكليف والثواب والعقاب.

الثاني: ملكة وحالة في النفس تدعو إلى اختيار الخيرات والمنافع، واجتناب الشرور والمضار، وبها تقوى النفس على زجر الدواعي الشهوانية والغضبية، والوساوس الشيطانية، وهل هذا هو الكامل من الأول أم هو صفة أخرى وحالة مغايرة للأولى، كل منهما محتمل، وما يشاهد في أكثر الناس من حكمهم بخيرية بعض الأمور، مع عدم إتيانهم بها، وبشرية بعض الأمور مع كونهم مولعين بها، يدل على أن هذه الحالة غير العلم بالخير والشر، والذي ظهر لنا من تتبع الأخبار المنتهية إلى الأئمة الأبرار سلام الله عليهم، هو أن الله خلق في كل شخص من الأشخاص المكلفين قوة واستعدادا لإدراك الأمور من المضار والمنافع وغيرها على اختلاف كثير بينهم فيها، وأقل درجاتها مناط التكاليف وبها يتميز عن المجانين وباختلاف درجاتها تتفاوت التكاليف، فكلما كانت هذه القوة أكمل، كانت التكاليف أشق وأكثر،

وتكمل هذه القوة في كل شخص بحسب استعداده بالعلم والعمل، فكلما سعى في تحصيل ما ينفعه من العلوم الحقة، وعمل بها تقوى تلك القوة، ثم العلوم تتفاوت في مراتب النقص والكمال، وكلما ازدادت قوة تكثر آثارها، وتحت صاحبها بحسب قوتها على العمل بها، فأكثر الناس علمهم بالمبدء والمعاد وسائر أركان الإيمان علم تصوري يسمونه تصديقا، وفي بعضهم تصديق ظني، وفي بعضهم تصديق اضطراري، فلذا لا يعملون بما يدعون، فإذا كمل العلم وبلغ درجة اليقين تظهر آثاره على صاحبه كل حين، وسيأتي تمام تحقيق ذلك في كتاب الإيمان والكفر إن شاء الله تعالى.

الثالث: القوة التي يستعملها الناس في نظام أمور معاشهم، فإن وافقت قانون الشرع، واستعملت فيما استحسنه الشارع تسمى بعقل المعاش، وهو ممدوح في الأخبار ومغايرته لما قد مر بنوع من الاعتبار وإذا استعملت في الأمور الباطلة والحيل الفاسدة تسمى بالنكراء والشيطنة في لسان الشرع، ومنهم من ثبتوا لذلك قوة أخرى وهو غير معلوم.

الرابع: مراتب استعداد النفس لتحصيل النظريات وقربها وبعدها من ذلك وأثبتوا لها مراتب أربعا سموها بالعقل الهيولاني والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد، وقد تطلق هذه الأسامي على النفس في تلك المراتب، وتفصيلها مذكور في مظانها ويرجع إلى ما ذكرنا أو لا، فإن الظاهر أنها قوة واحدة، تختلف أسماؤها بحسب متعلقاتها وما تستعمل فيه.

الخامس: النفس الناطقة الإنسانية التي بها يتميز عن سائر البهائم.

السادس: ما ذهب إليه الفلاسفة وأثبتوه بزعمهم من جوهر مجرد قديم لا تعلق له بالمادة ذاتا ولا فعلا، والقول به كما ذكروه مستلزم لإنكار كثير من ضروريات الدين من حدوث العالم وغيره، مما لا يسع المقام ذكره، وبعض المنتحلين منهم للإسلام أثبتوا عقولا حادثة وهي أيضا على ما أثبتوها

مستلزمة لإنكار كثير من الأصول المقررة الإسلامية، مع أنه لا يظهر من الأخبار وجود مجرد سوى الله تعالى، وقال بعض محققيهم: إن نسبة العقل العاشر الذي يسمونه بالعقل الفعال إلى النفس كنسبة النفس إلى البدن، فكما أن النفس صورة للبدن، والبدن مادتها، فكذلك العقل صورة للنفس والنفس مادته، وهو مشرق عليها، وعلومها مقتبسة منه، ويكمل هذا الارتباط إلى حد تطالع العلوم فيه، وتتصل به، وليس لهم على هذه الأمور دليل إلا مموهات شبهات، أو خيالات غريبة، زينوها بلطائف عبارات.»[١]

وهنا خلصتُ الى ان العقل هو «تشخيص الصلاح والفساد في جريان الحياة مادّيا ومعنويّا ثم ضبط النفس وحبسه عليها. ومن لوازمه: الإمساك، والتدبّر، وحسن الفهم، والإدراك، والانزجار، ومعرفة ما يحتاج اليه في الحياة، والتحصّن تحت برنامج العدل والحقّ، والتحفّظ عن الهوى والتمايلات.»

وهذا ما هو قريب من قول **الإمامُ عليٌّ** عليه السلام: عَقلُ المَرءِ نِظامُه[٢].

---

(١) المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ـ تهران، ط٢، ١٤٠٤ ق. ج١ ص٢٥.

(٢) المحمدى الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، الجزء: ٧، الصفحة: ٤٩٢، مؤسسه علمى فرهنگى دار الحديث. سازمان چاپ ونشر، قم المقدسة، ١٣٨٩ الهجري الشمسي

البحث ٣

في ظهر اليوم التالي وبعد ان تناولتُ الغداء، راجعتُ بعض كتب اهل اللغة لكي اعرفُ المراد من كلمة «المقاومة» فوجدتُهم يقولون:

* القاف والواو والميم أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على جماعةِ ناسٍ، وربَّما استُعِير في غيرهمْ، والآخَر على انتصابٍ أو عَزْم.

فالأوّل: القوم، يقولون: جمع امرىءٍ، ولا يكون ذلك إلاَّ للرِّجال....

وأمّا الآخَر فقولُهم: قامَ قيامًا، والقَوْمة المَرَّةُ الواحدة، إذا انتصب. ويكون قامَ بمعنى العَزيمة، كما يقال: قامَ بهذا الأمر، إذا اعتنَقَه. وهم يقولون في الأوَّل: قيامٌ حتم، وفي الآخر: قيامٌ عَزْم.[١]

* قَاوَمَه في المُصارَعة وغيرها. وتَقَاوَمُوا في الحرب أي قام بعضهم لبعض.[٢]

* **قاومَ العدُوَّ**: واجَهَهُ، وضادَّه «قاوم الإغراءَ/ الظُّلمَ/ البردَ/ مُيُولَه/ الحاكمَ المستبدّ/ الطغيانَ/ العدوانَ/ الهجومَ/ الضّربةَ ـ قاوم الرجالُ الحريقَ ـ يقاوم بشراسة».[٣]

وهنا تذكرتُ قوله تعالى:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي

---

(١) ابن فارس احمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة. م ٥، مكتب الإعلام الإسلامي. مركز النشر، ١٤٠٤، ص ٤٣.

(٢) ابن منظور محمد بن مكرم. لسان العرب. م ١٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٤٩٩.

(٣) (. معجم اللغة العربية المعاصرة. م ٣، ص ١٨٧٥.)

سَبِيلِ اللّٰهِ ومَا ضَعُفُوا ومَا اسْتَكَانُوا واللّٰهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * ومَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (آل‌عمران: ١٤٦ ـ ١٤٧)

فاسرعتُ الى كتاب مواهب الرحمن للسيد العارف الكبير المرحوم السيد عبد الاعلى السبزواري رضوان الله عليه، للوقوف على تفسير هذه الاية، فكان قوله:

المعنى: وكم من نبي قاتل معه في جهاده في إقامة الحق ونصرة دين الله تعالى من كان منتسبا الى الرب وتخلق بأخلاق الله تعالى وتربّى بتربيته الرسول الكريم والنبي العظيم فصبروا.[1]

وقد وصف الله تعالى الربيون بأوصاف تدل على جلالة قدرهم.

قوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ﴾.

وصف أول، وهو عدم لحوق الوهن في عزائمهم بما أصابهم من الشدائد والأذى في الحرب، والجهاد في سبيل الله تعالى، أو ما عجز عن الجهاد عند قتل أنبيائهم أو شاع قتلهم ثبتوا على دينهم.

قوله تعالى: ﴿وما ضَعُفُوا﴾.

وصف ثان. وهو عدم اصابة الضعف في أبدانهم وما فتروا لأنهم لم يستسلموا للرعب والخوف وروعة الحرب وشدتها، ويمكن ان يكون المراد بالوهن الضعف للمجموع والضعف للآحاد.

قوله تعالى: ﴿ومَا اِسْتَكَانُوا﴾.

وصف ثالث. والاستكانة: هي الخضوع والذلة بحيث يؤثر في نفوسهم

---

(١) سبزواری عبدالاعلی. مواهب الرحمن في تفسير القرآن (سبزواری). م ٦، مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السبزواری، ١٤١٤، ص ٣٤٥.

ويوجب الرجوع عن الايمان والانقلاب الى الكفر...[١]

قوله تعالى: ﴿وما كانَ قَوْلَهُمْ إِلاّٰ أَنْ قالُوا رَبَّنَا اِغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا﴾.

بعد ما بين عز وجل أفعالهم وأحوالهم ذكر في هذه الآية الشريفة أقوالهم لتتم الحجة على المؤمنين فان عليهم الاتعاظ من أفعالهم وأقوالهم والاعتبار بها والاستنان بسنتهم والاقتداء بهم حتى لا يتكرر منهم الوهن والفشل في جنب الله تعالى ونصرة دينه.

والآية المباركة تبين شدة صلتهم بالله تعالى وكمال خضوعهم له عز وجل فقد كان قولهم مطابقا لفعلهم ولم يختلفا.

وما كان قولهم في تلك الحال الا الاعتصام بالله تعالى قولا وطلب الغفران لذنوبهم التي توجب بعدهم عنه تعالى وقطع الفيض الربوبي.

قوله تعالى: ﴿وإِسْرافَنا فِي أَمْرِنا﴾.

اي: تجاوزنا عن الحدود التي حددها الله تعالى لنا، فان شدة الحال قد توجب صدور بعض الهفوات والزلات والتجاوز عن الحد.

وهذا الدعاء منهم يدل على استصغار عملهم، واعترافهم بالتقصير في مقام عبوديتهم، وكمال انقطاعهم اليه تبارك وتعالى.

وانما قدموا الدعاء بالمغفرة على غيره لإزالة الحجب عن وصول الفيض والعطف الربوبي، ولتقدم التخلية على التحلية.

قوله تعالى: ﴿وثَبِّتْ أَقْدامَنا﴾.

اي: لا تزل أقدامنا عن الصراط المستقيم، وفي جميع الأحوال **لا سيما عند الجهاد والطاعة** لئلا تضلنا الاهوية ومضلات الفتن.

---

(١) سبزواری عبدالاعلی. مواهب الرحمن في تفسير القرآن (سبزواری). م ٦، مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السبزواری، ١٤١٤، ص ٣٤٥.

قوله تعالى: ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾.

لتطهير الأرض من مآثمهم ومفاسد أخلاقهم، فان طهارتهم من الذنوب يستلزم النصرة على من يكون محاطا بها.[١]

وكذلك عرفتُ ان المراد منها هو: المعارضة والمغالبة، حيث يقولون «قاومه مقاومة: قام له وعارضه، ومنه: مقاومة الأهواء، اي مغالبتها، ومقاومة الجسم، أي مناعته، ومقاومة الظواهر الطبيعية للفرضية العلمية: أي معارضتها لها.»[٢]

وقالوا ايضاً «إن كلمة المقاومة وإن استخدمها الناس في الجوانب الداخلية، لكن المقاومة بحسب المصطلح السياسي، مسألة تتّصل بالجانب الخارجي، يعني تتّصل بعملية تحرير البلد أو الأمّة، لأنها قد تكون على مستوى الوطن أو على مستوى الأمّة إذا تناولت القضايا التي تتّصل بحياة الأمّة.»[٣]

وعرّفت اللجنة الدولية للصليب الأحمر (C.L.C.R) المقاومة المسلحة تحت وصف (GUERILLA) (بانها وسيلة خاصة من وسائل شن الحرب وليس طائفة من طوائف النزاع المسلح).

وعرفها (كوفي عنان) الأمين العام للأمم المتحدة (الأسبق) بأنها: «حروب تحرير او صراعات وطنية ايدولوجية مناهضة للاستعمار»

ويعرفها سماحة السيد (علي الخامنئي) رعاه الله في أحد خطبه، اذ

---

(١) سبزواری عبدالاعلی. مواهب الرحمن في تفسير القرآن (سبزواری). م ٦، مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السبزواری، ١٤١٤، ص ٣٤٦.

(٢) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ٢جلد، الشركة العالمية للكتاب ـ لبنان ـ بيروت، ط: ١، ١٤١٤ ه.ق. ج٢؛ ص٤٠٧

(٣) جهامی، جيرار، الموسوعة الجامعة لمصطلحات الفكر العربي والإسلامي (تحليل ونقد)، ٢جلد، مكتبة لبنان ناشرون ـ لبنان ـ بيروت، ط ١، ٢٠٠٦ م.، ج٢، ص: ٢٧٣١

يقول: «المقاومة بمعنى ان يختار الانسان طريقا يعده الطريق الحق والطريق الصحيح ويسير فيه ولا تستطيع الموانع والعقبات صده عن السير في هذا الدرب وايقاف مسيرته».

نتيجة البحث

الى هنا فهمتُ معنى لقب الشهيدين ـ الحاج سليماني وسماحة الشهيد الاقدس ـ بـ «عقل المقاومة».

ولكني ألخص فهمي للشباب بـ:

عقل المقاومة يعني نظام المقاومة، اي اننا نشخص الصلاح والفساد في مجرى الحياة ماديّا ومعنويّا.... ومن لوازمه: الإمساك، والتدبّر، وحسن الفهم، والإدراك، والانزجار، ومعرفة ما يحتاج اليه في الحياة، والتحصّن تحت برنامج العدل والحقّ، والتحفّظ عن الهوى والتمايلات...

وهذا يحتاج الى العوامل الحركية الموجودة في قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

ولكن يبقى سؤال مهم جدا لابد من البحث عن جوابه، وله صيغ عديدة، منها:

ـ لماذا المقاومة؟

ـ هل المقاومة ضرورية؟

ـ لماذا لا نترك المقاومة؟ حتى نعيش بعيدين عن السلاح والدماء...

ضرورة المقاومة ١

لما رجعتُ الى بعض المصادر لكي ابحث عن إجابة مناسبة للسؤال السابق، حصلتُ على نوعين من الإجابة، وهما:

الأولى: الإجابة الاجمالية.

لو نظرنا الى «جسم الإنسان وهو «**عالَمٌ صغير**» يتجلىٰ فيه العالم الأكبر، هذا الجسم نموذج بارز لهذه المسألة ـ مسالة الدفاع والمقاومة ـ، وذلك لأنّ حياة الإنسان مهددة دائماً بخطر التلوث «بالميكروبات» و«الفايروسات» التي ترد البدن عن أربعة طرق (التّنفس، الأكل، الشّرب، والجلد إذا ما أصيب البدن بجراحات)، فلو لم يكن بدن الإنسان مزوداً بالقوى الدفاعية المجهّزة، لأبتلي بأنواع الأمراض الخطيرة التي تشلُّ حركته وتقتله.

نعم، فكريات الدّم البيضاء تهب لمواجهة أي عدو خارجي يرد البدن، وتجاهده عن طريق حروب فيزيائية وكيميائية، وحتى لو انتصر العدو مؤقتاً ومرض الإنسان، تستمر تلك الكريات بدفاعها حتى تتغلب على العدو وتؤمّن السلامة الكاملة للبدن.

وعدد هذه الخلايا الدفاعية الموجودة في بدن الإنسان يصل إلى عدّة ملايين كما يقول العلماء، وعند ملاحظة عمل هذه القوى يحتار عقل الإنسان حيث تحكي عن نكات عجيبة من أسرار الخلقة تجعل الإنسان يضطر للركوع أمام قدرة الخالق عزّ وجلّ.

والمجتمع الإنساني والدّول المختلفة غير مستثناة عن هذا القانون العام،

وتحتاج إلى إدامة حياتها واستمرارها لقوى عسكرية مجهّزة ومتطورة.»[١]

وبعبارة اخرى:

لو كانت الدنيا خالية من الظّلمة الطّامعين والمعتدين والمتجاوزين، لما كان هناك أيّة ضرورة لوجود القوات المسلحة لحفظ الحدود، ولعاش النّاس في بلادهم آمنين مطمئنين تربطهم روابط تجارية وثقافية وسياسية واجتماعية واقتصادية سالمة وطبيعيّة.

ولكن حب الاستعلاء والتّسلط الذي قد يوجد أحياناً عند بعض الأفراد، وأحياناً عند بعض الشعوب، يؤدّي غالباً إلى اعتداء هذا الفرد أو ذلك الشعب على فرد آخر أو شعب آخر، وفي مثل هذه الحالات يحق للجميع أن يتسلحوا ويستعدّوا لحفظ أمنهم وحياتهم، إذ إنّ النّظام الذي يحكم العالم اليوم وللأسف هو **نظام الغلبة للقوي** وهذا الأمر يبرر لنا **فلسفة تشكيل القوى المسلحة وقوات الدفاع.**

فصحيح أنّ وجود مثل هذه القوى لم ينجح بشكل كامل لمنع مثل هذه الاعتداءات العدوانيّة، ولكنّها بلا شك كانت ولا تزال مانعة بنسبة معينة من ذلك، إذ في كثير من الأحيان يتحتم على القوى المعتدية أن تغامر وتخاطر بوجودها في اعتدائها، حيث إنّ النتيجة لا تكون معلومة، فقد تتحمل خسائر جسيمة وتدفع ضريبة غالية في طريق الغلبة على البلد المعتدى عليه وهذا نفسه يمنع في كثير من الأحيان مثل هذه الاعتداءات والحروب.

ومضافاً إلى ذلك، فإنّ الأُمّة ذات الحضارة والثقافة والتي تريد الحصول على ميدان حرٍّ لتنشر ثقافتها بين الأمم الأُخرىٰ تحتاج إلى قوة عسكرية للحصول على ذلك الجو الحرِّ، ولا يمكنها ذلك بدون الاتكاء على القوة، وهذه فلسفة أُخرى لتشكيل القوى العسكرية.

---

(١) مكارم شيرازى ناصر. نفحات القرآن. م ١٠، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٨٤، ص ٢٦٤.

ولو أردنا بحث هذه المسألة في بعد أوسع، لا بدّ أن نقول إنّ الحياة غير ممكنة بلا «**جهاد**»، إذ إنّ الكائن الحي يواجه دائماً في طريق استمرار حياته، بعض الموانع والصعوبات التي تهدد كيانه في كل لحظة، وإذا لم يكن مجهزاً بقوة دفاعية فسوف ينهزم بسرعة.

وعليه تكون «**المقاومة**» عملية فطرية وضرورية بالنسبة لكل البشرية.

الثانية: الاجابة التفصيلية

في القرآن الكريم آيات عديدة في مجال الجهاد وفلسفته وأحكامه، وكذلك آثاره ونتائجه، وقد انتقينا إحدىٰ عشرة آية من بين تلك الآيات:

١ ـ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقٰاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإِنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * اَلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاّٰ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اَللّٰهُ ولَوْ لاٰ دَفْعُ اَللّٰهِ اَلنّٰاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوٰامِعُ وبِيَعٌ وصَلَوٰاتٌ ومَسٰاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اِسْمُ اَللّٰهِ كَثِيراً ولَيَنْصُرَنَّ اَللّٰهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اَللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. (الحج/ ٣٩ ـ ٤٠)

٢ ـ ﴿وقٰاتِلُوهُمْ حَتّٰى لاٰ تَكُونَ فِتْنَةٌ ويَكُونَ اَلدِّينُ كُلُّهُ لِلّٰهِ فَإِنِ اِنْتَهَوْا فَإِنَّ اَللّٰهَ بِمٰا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. (الأنفال/ ٣٩)

٣ ـ ﴿وأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اِسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومِنْ رِبٰاطِ اَلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اَللّٰهِ وعَدُوَّكُمْ﴾.(الأنفال/٦٠)

٤ ـ ﴿إِنَّ اَللّٰهَ يُحِبُّ اَلَّذِينَ يُقٰاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيٰانٌ مَرْصُوصٌ﴾. (الصف/ ٤)

٥ ـ ﴿يٰا أَيُّهَا اَلنَّبِيُّ حَرِّضِ اَلْمُؤْمِنِينَ عَلَى اَلْقِتٰالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صٰابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ يَفْقَهُونَ﴾. (الأنفال/ ٦٥)

٦ ـ ﴿يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ تِجٰارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ

* تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ ورَسُولِهِ وتُجٰاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ بِأَمْوٰالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ويُدْخِلْكُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ ومَسٰاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّٰاتِ عَدْنٍ ذٰلِكَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ * وأُخْرىٰ تُحِبُّونَهٰا نَصْرٌ مِنَ اَللّٰهِ وفَتْحٌ قَرِيبٌ وبَشِّرِ اَلْمُؤْمِنِينَ﴾. (الصف/ ١٠ ـ ١٣)

٧ ـ ﴿إِنَّ اَللّٰهَ اِشْتَرىٰ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوٰالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ اَلْجَنَّةَ يُقٰاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي اَلتَّوْرٰاةِ واَلْإِنْجِيلِ واَلْقُرْآنِ ومَنْ أَوْفىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اَللّٰهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ اَلَّذِي بٰايَعْتُمْ بِهِ وذٰلِكَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ﴾. (التوبة/ ١١١)

٨ ـ ﴿يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِصْبِرُوا وصٰابِرُوا ورٰابِطُوا واِتَّقُوا اَللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (آل عمران/ ٢٠٠)

٩ ـ ﴿يٰا أَيُّهَا اَلنَّبِيُّ جٰاهِدِ اَلْكُفّٰارَ واَلْمُنٰافِقِينَ واُغْلُظْ عَلَيْهِمْ ومَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وبِئْسَ اَلْمَصِيرُ﴾. (التوبة/ ٧٣) (التحريم/ ٩)

١٠ ـ ﴿لاٰ يَسْتَوِي اَلْقٰاعِدُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي اَلضَّرَرِ واَلْمُجٰاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ بِأَمْوٰالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اَللّٰهُ اَلْمُجٰاهِدِينَ بِأَمْوٰالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ عَلَى اَلْقٰاعِدِينَ دَرَجَةً وكُلاً وَعَدَ اَللّٰهُ اَلْحُسْنىٰ وفَضَّلَ اَللّٰهُ اَلْمُجٰاهِدِينَ عَلَى اَلْقٰاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾. (النساء/ ٩٥)

في الآية الأولى من الآيات الآنفة الذكر، والتي يعتقد جمعٌ من المفسرين أنّها أول آية في الجهاد، تزيح الستار عن أهم فلسفة للجهاد، وتجيز للمسلمين الذين حوصروا من قبل الأعداء الشرسين الجائرين، أن يحاربوا هؤلاء عسكرياً ويجاهدوهم، يقول تعالى. «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقٰاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وإِنَّ اَللّٰهَ عَلىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ».

فهنا حصل المسلمون على إذن بالجهاد، مضافاً إلى أنّهم وُعدوا بالنصر من قبل الله تعالى، وقد ذكر لذلك دليل، وهو أنّ العدو هو الذي بدأ

الحرب العدوانية عليهم، **ولذا فالسكوت عنه خطأ، لأنّه يؤدّي إلى تجرؤ العدو وتجاسره وإلى ضعف المسلمين.**

يقول المرحوم الشيخ الطبرسي في مجمع البيان: وكان المشركون يؤذون المسلمين ولا يزال يجيء مشجوج ومضروب إلى رسول اللّه ﷺ ويشكون ذلك إلى رسول اللّه ﷺ فيقول لهم صلوات اللّه عليه وآله: اصبروا فإنّي لم أومر بالقتال، حتى هاجر فأنزل اللّه عليه هذه الآية بالمدينة وهي أول آية نزلت في القتال»[1].

والملفت للنظر هو أنّ القرآن المجيد يقول في الآية السّابقة لهذه الآية: ﴿إِنَّ اَللّٰهَ يُدٰافِعُ عَنِ اَلَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي أنّ هذا الكلام لا يعني أن يجلس هؤلاء في زاوية من زوايا المسجد ويضعون يداً على يدٍ وينتظرون دفاع اللّه، بل إنّ سنة اللّه اقتضت أن يكون دفاعه عن المؤمنين بعد أداء وظيفتهم في أمر الجهاد ومواجهة العدو، إذن، **فالذين يحقّ لهم الاطمئنان للحماية الإلهيّة هم الذين لم يتركوا وظيفة الجهاد.**

كما أن النكتة الأُخرى التي ينبغي الالتفات إليها هي أنّ الآية اللاحقة تقول في تحفيز المؤمنين على الدفاع المقدس: ﴿اَلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾. (الحج/٤٠)

أي أنّ المشركين أخرجوكم من وطنكم ومنازلكم لا لذنب إلاّ لإيمانكم باللّه، ولذا إذا لم تقفوا في وجوههم وتقاتلون تعرضت دنياكم ودينكم وإيمانكم ومساجدكم للخطر.

---

(١) ومن جملة من صرّح بأن هذه الآية هي أوّل آية نزلت في الجهاد ـ مضافاً إلى ما جاء أعلاه ـ المرحوم العلّامة الطّباطبائي في الميزان» و«البرسوئي) في (روح البيان) والعلّامة المشهدي في (كنز الدقائق) و«الآلوسي»، في روح المعاني، وإن ادّعى البعض أن الآية الأولى في الجهاد هي قوله تعالى: «قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم...» (البقرة/ ١٩) وقال البعض إنّها قوله تعالى: «إِنَّ اَللّٰهَ اِشْتَرىٰ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ..» (التوبة/ ١١١).

وبما أنّ الأمر بالجهاد صدر بعد الهجرة، فيدل على أنّ أصل الجهاد في الإسلام هو الدفاع ضد الأعداء، لأنّ المسلمين لم يحملوا السلاح طيلة السّنوات الثّلاث عشرة على الرّغم من كل أساليب الإيذاء والضرب والجرح، لعل المشركين يعودون إلى الرّشد، ولما لم تنفع الأساليب السّلمية مع المشركين وكانت نتيجة الصبر والتّحمل هو الهجرة العامة والضّغوط الاجتماعية والاقتصادية حتى بعد الهجرة، لم يكن هناك أي مبرر عقلي لجلوس المسلمين مكتوفي الأيدي ناظرين قساوة الأعداء واضطهادهم واعتداءاتهم!؟[١]

ضرورة المقاومة ٢

وفي **الآية الثّانية** إشارة إلى فلسفة أُخرى للجهاد، وهي كالفلسفة المذكورة في الآية السّابقة يمكن أن توجد في كل زمان ومكان، يقول تعالى: ﴿وقٰاتِلُوهُمْ حَتّٰى لاٰ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ اَلدِّينُ كُلُّهُ لِلّٰهِ﴾.

والظّريف أنّ القرآن الكريم يشير في ذيل هذه الآية بصراحة ويقول: ﴿فَإِنِ اِنْتَهَوَا فَإِنَّ اَللّٰهَ بِمٰا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وذهب جمع من المفسرين إلى أنّ المراد من «الفتنة» هو «الشرك»، وبعض قال إنّ المراد منها الضّغوط التي استعملها المشركون لإرجاع المؤمنين إلى الشرك وردّهم عن إيمانهم.[٢]

و في تفسير الميزان ـ واعتماداً على جذور هذا المصطلح الأصلية ـ فسَّر الفتنة بمعنى الأمور التي يُمتَحن النّاس بها، وبالطّبع فإنّ تلك الأمور تكون ثقيلة على النّاس وتستعمل عادة بمعنى زوال الأمن والصلح.

وقد ذكر في تفسير الأمثل، في ذيل الآية ١٩٣ من سورة البقرة خمسة

---

(١) مكارم شيرازى ناصر. نفحات القرآن. م ١٠، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٨٤، ص ٢٦٦.

(٢) مكارم شيرازى ناصر. نفحات القرآن. م ١٠، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٨٤، ص ٢٦٦.

معانٍ لهذا المصطلح استناداً إلى آيات القرآن وهي:

١ـ الامتحان.

٢ـ المكر.

٣ـ البلاء والعذاب.

٤ـ الشّرك وعبادة الأوثان.

٥ـ الإضلال والإغواء.

و قد أُشير في بعض كتب اللغة كلسان العرب إلى أغلب هذه المعاني أيضاً، ومن البديهي أنّ الفتنة في الآية مورد البحث لا يمكن أنْ تكون بمعنى الامتحان أو المكر والبلاء، **وعليه فهي بمعنى الشّرك أو ضغوط المشركين لإضلال الآخرين**، ويمكن أن تكون بمعنى جامع شامل للشّرك وضغوط المشركين والعذاب والبلاء، **وعليه فما دامت الضغوط مستمرة من قبل الـ كفّار لتغيير عقيدة المؤمنين، يكون القتال في مواجهة ذلك مأذوناً فيه،** ويجوز الجهاد للحصول على الحريّة والحدِّ من الضّغوط والتّعذيب، ولكن متى ما رفع الكفّار أيديهم عن ممارسة ذلك، ينبغي الكف عن قتالهم، وعليه فالجهاد هنا نوع من أنواع الدّفاع.

و في **الآية الثالثة** ورد أمرٌ للمسلمين لإعداد كلّ لون من ألوان القوّة لقتال الأعداء، يقول عزّ وجلّ: «وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اِسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» ثُمّ يشير إلى مصداق واضح لذلك كان يعدُّ حينذاك من وسائل القتال المهمّة، يقول عزّ وجلّ: «وَ مِنْ رِبَاطِ اَلْخَيْلِ».

وفي العبارة اللاحقة يشير تعالىٰ إلى الهدف النّهائي لهذا الإعداد ويقول: «تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اَللّٰهِ وعَدُوَّكُمْ».

وعليه فالهدف من الإعداد وتهيئة القوى ليس غزو الآخرين

والهجوم على أحد، وإنّما الهدف هو إخافة الأعداء، ذلك التخويف الذي يكون رادعاً من نشوب الحرب والقتال.

و في الحقيقة، فإنّ تقوية البنية الدّفاعيّة، كان دائماً عاملاً مؤثراً في الحدِّ من هجوم الأعداء، وهذا هدف مقدّس جدّاً ومطابق للعقل والمنطق.

و لا بدّ من الالتفات إلى هذه النّكتة وهي أنّ مفهوم الآية الكريمة أوسع بكثير، ويشمل كلّ نوع من أنواع إعداد القوى المعنويّة والماديّة والعسكريّة والاقتصاديّة والثّقافيّة، وخصوصاً وأنّها تؤكد على القوى المتناسبة مع كل زمان، ويدل ذلك على أنّ المسلمين يجب أن لا يتوانوا، بل عليهم أن يسعوا جاهدين لتوفير أحدث الأسلحة المعقدة في زمنهم، بل ويسبقوا الآخرين في ذلك، ولكن يبقى الهدف الأصلي لهذا الإعداد والاستعداد ليس غزو الآخرين والاعتداء عليهم، بل هو إطفاء نار الفتنة والحدّ من الاعتداء، وبعبارة أُخرى خنق هجوم الأعداء في مرحلة النّطفة.

ولما كان إعداد المعدات العسكريّة المتطورة والحديثة في قبال الأعداء يحتاج إلى أموال طائلة، وهذا الأمر لا يمكن بدون اشتراك جميع أفراد المجتمع، تعقّب الآية الكريمة بهذا المعنى بالقول: ﴿وَ مٰا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاٰ تُظْلَمُونَ﴾. (الانفال/٦٠)

والنّكتة المهمّة هنا هي أنّ الآية اللاحقة لهذه الآية: ﴿وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهٰا وتَوَكَّلْ عَلَى اَللّٰهِ إِنَّهُ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ﴾. (الأنفال/٦١)

فذكر هذه الآية بعد تلك له معنى دقيق وعميق، وهو تأكيدٌ آخر على روح حب الصّلح والسّلام في الإسلام، أي أنّ أمر المسلمين بإعداد أفضل أنواع الأسلحة والقوى إنّما هو من أجل تحكيم أُسس السّلام والصّلح لا الاعتداء على أحد.[1]

---

(١) مكارم شيرازى ناصر. نفحات القرآن. م ١٠، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٨٤، ص ٢٦٧.

و **الآية الرّابعة** وفي ضمن التّرغيب في الجهاد، تقيّد الجهاد أوّلاً بالأهداف المقدّسة، ثُمّ تؤكد على توحيد صفوف المسلمين، وهي من أهم عوامل الانتصار في الحرب مع الأعداء، يقول عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اَللّٰهَ يُحِبُّ اَلَّذِينَ يُقٰاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيٰانٌ مَرْصُوصٌ﴾ وعبارة «في سبيله» الواردة في كثير من آيات الجهاد تكشف لنا هذه الحقيقة وهي **أنّ الجهاد يجب أن لا يكون من أجل حبّ التسلّط والاستعمار والاستعلاء وغصب حقوق الآخرين وأراضيهم أو الانتقام منهم أو اتباعاً للهوى والرّغبات، بل لا بدّ أنْ يكون الهدف هو الحقّ والعدالة وما يوجب رضا اللّٰه تعالى فقط**، وتكرار هذا التّعبير في آيات عديدة من القرآن إنّما هو للحدِّ من وقوع الحروب التي يكون الهدف منها وساوس ورغبات شيطانيّة وماديّة، وهذا الأمر هو الفارق الأساسي بين القوى المسلحة الإسلاميّة وبين غيرها! (التفتوا جيداً).

ثُمّ أنّ التّعبير بجملة **بنيان مرصوص** (وهو البناء الذي استُعمل فيه الرّصاص الذّائب بدلاً من الإسمنت، لكي يكون صلداً وقوياً) ويمكن أنْ يكون إشارة إلى أنّ أعداء الإسلام كالسّيل الجارف المخرب، وأنّ صفوف المجاهدين المسلمين كالسدِّ الحديديّ المنيع الذي يصمد أمام السُّيول. أو هو إشارة إلى السّدِّ الحديدي الذي بناهُ ذو القرنين لمقابلة قوم «**يأجوج ومأجوج**» السّفاكين للدّماء، أو كناية عن كلِّ سدٍّ يقام في وجه الأعداء وهجومهم.

وعلى أيّة حال، فإنّ هذا التّعبير يدلّ على أنّ الجهاد في الإسلام له صفة دفاعيّة في الأصل، لأنّ السّدود وسيلة دفاعيّة مؤثرة في قبال أمثال «يأجوج ومأجوج» على مرِّ التّاريخ، ولا يوجد سدٌّ لهُ ميزة الغزو والهجوم والاعتداء.

وكما أنّ السُّدود إذا أصابها خَللٌ أو ثغرة فإنّها ستكون معرضة للخطر والتّلاشي، فكذلك صفوف المجاهدين الرّساليين فمتى ما برز فيها اختلاف

وفرقة وعدم انسجام، فستكون محكومة بالاندحار والفشل، فالله عزّ وجلّ يحب الصّفوف المتراصفة المتحدة المتفقة والمنسجمة تماماً.(١)

وفي **الآية الخامسة**، يأمر نبي الإسلام ﷺ أن يحفز المسلمين على قتال الأعداء، وهذا الأمر وارد بعد تلك الآيات التي تحرض على إعداد القوى لإخافة العدو والحدِّ من وقوع الحروب المدمّرة، وكذلك بعد الآية التي تحرضهم على الصّلح والسّلم.

و في الحقيقة، الحرب في نظر الإسلام آخر وسيلة مشروعة تستعمل للحدِّ من اعتداءات الأجانب الأعداء، ففي البدء تعدُّ القوى لترهب الأعداء، ثُمّ دعوتهم إلى السّلم من موضع القدرة لا من موضع الضّعف، ثُمّ يصدر أمر القتال والجهاد إذا لم تنفع تلك السّبل، يقول عزّ وجلّ: ﴿يٰا أَيُّهَا اَلنَّبِيُّ حَرِّضِ اَلْمُؤْمِنِينَ عَلَى اَلْقِتٰالِ﴾، ثُمّ يشير إلى أهم عوامل النصر يعني الاستقامة والصّمود، ويقول: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صٰابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ يَفْقَهُونَ﴾.

فغباء هؤلاء وجهلهم يكون من جهةٍ سبباً في مخالفتهم للمنطق والعقل وإصرارهم على روح العدوان فلا يفهمون إلاّ منطق القوّة، ومن جهة أُخرى يكون جهلهم سبباً لضعفهم وعدم اقتدارهم في ميدان الحرب، وذلك لأنّهم يفتقدون الهدف والمبرر الواقعي في حروبهم، ومن هنا فإن بإمكان المؤمن الواحد أن يغلب عشرة منهم إذا ما استقام وصمد، وبإمكان العشرين أن يغلبوا مائتين من الكفار.

يقول الراغب في مفرداته: التّحريض في الأصل بمعنى التّحريك نحو شيء بعد تزيينه وتسهيل طريق الوصول إليه عن طريق إزالة الموانع ـ وفي الحقيقة فإنّ الإيمان بالله والاعتقاد بيوم المعاد والأجر العظيم الذي أعدّهُ الله

(١) مكارم شيرازى ناصر. نفحات القرآن. م ١٠، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٨٤، ص ٢٦٩.

للمجاهدين والشّهداء في سبيل اللّه يزيل كل الموانع عن طريق جنود الإسلام، ويهوّن عليهم هذا العمل الثقيل والصّعب جدّاً.

هذه الآية تُخطّئ كلّ حسابات الموازنة بين القوى الظّاهريّة والماديّة، وتدل بوضوح على أنّ سلسلة من القوى المعنويّة موجودة عند المسلمين يمكنهم بالاتكاء عليها كسر شوكة جيش العدوّ المتفوّق صورياً بعدته وعدده عليهم، وكسب المعركة لصالح المسلمين.[1]

الآية السّادسة تحرض المؤمنين على الجهاد بطريق آخر، بواسطة تشبيه الجهاد بالتّجارة المربحة الّتي توجب النّجاة من عذاب أليم، والنصر في الدّنيا والآخرة، يقول تعالى:

﴿يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ تِجٰارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ ورَسُولِهِ وتُجٰاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ بِأَمْوٰالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وفي الآيات اللاحقة لهذه الآيات يَعد المؤمنين بدرجات عظيمة، حيث يقول: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ويُدْخِلْكُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ ومَسٰاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّٰاتِ عَدْنٍ ذٰلِكَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ * وأُخْرىٰ تُحِبُّونَهٰا نَصْرٌ مِنَ اَللّٰهِ وفَتْحٌ قَرِيبٌ وبَشِّرِ اَلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ففي هذه الآيات يعتبر رأسمال هذه التّجارة المربحة في الدّنيا والآخرة مُركَّب من الإيمان والجهاد، أي أنَّ «**العقيدة**» و«**الجهاد**» هما ركنا هذه التّجارة، ذلك الجهاد الذي يكون بالمال والنّفس معاً، إذ إنّ إعداد الوسائل والمعدات العسكريّة اللازمة للنّصر لا يمكن إلّا بصرف الأموال، والملفت للنّظر هنا هو أنّه لم يذكر أن نتيجة الجهاد هي المغفرة والرّحمة الإلهيّة والنِّعم الخالدة في الجنّة فقط، وإنّما يذكر النّصر القريب في هذه الدّنيا ويعتبره أعزّ من آثاره الأُخرى. (دققوا جيداً).

---

(١) مكارم شيرازى ناصر. نفحات القرآن. م ١٠، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٨٤، ص ٢٧٠.

والتّعبير بالتّجارة، إشارة إلى نكتة أنّ الإنسان على أيّة حال له رأسمال، وهذه الدّنيا كالمتجر يمكن استغلال رؤوس الأموال، فيها وتشغيلها وتبديلها إلى رؤوس أموال خالدة وباقية، وهذا لا يتمّ إلاّ بالتّعامل مع الوجود المقدّس للباري تعالى، الوجود الذي بيده كل مفاتيح الخير والسّعادة، والتّجارة مع هذا الوجود مقترن على الدوام مع الكرامة والمواهب وأنواع النّعم.

كما أنّ النّكتة الجديرة بالذكر هنا هي أنّ المخاطب في هذه الآيات هم المؤمنون، مع أنّها تدعوهم في نفس الوقت إلى الإيمان! والهدف من ذلك هو أنْ يرتقي هؤلاء المؤمنون من مراحل الإيمان الابتدائية والصُّورية إلى المراحل العالية المقترنة بالجهاد والأعمال الصّالحة، وذلك لأنّ الإيمان شجرة مثمرة تبدأ من شجيرة صغيرة حتّى تصير أغصانها عالية إلى عنان السّماء، فتثمر أنواع الفضائل ومكارم الأخلاق، وهذا يحتاج إلى طي مراحل تكامليّة مختلفة.[1]

و في **الآية السّابعة**، نجد نفس مضمون الآية السّابقة ولكن في صورة جميلة أخرى، فهي تصور المعاملة وكأن اللّه هو المشتري والمؤمن هو البائع، والمتاع هو الأموال والأنفس، والثمن هو الجنّة الخالدة، وأسناد هذه المعاملة العظيمة المربحة ووثائقها، ثلاثة كتب سماوية هي التّوراة والإنجيل والقرآن، يقول تعالى:

﴿إِنَّ اَللّٰهَ اِشْتَرىٰ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوٰالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ اَلْجَنَّةَ يُقٰاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ فَيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي اَلتَّوْرٰاةِ واَلْإِنْجِيلِ واَلْقُرْآنِ ومَنْ أَوْفىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اَللّٰهِ﴾.

و هذه التّجارة المربحة بأركانها الأربعة ووثائقها المضمونة، من أهم التّجارات التي يمكن أن يقوم بها الإنسان في طول عمره ولهذا يبارك عزّ وجلّ للمؤمنين بصورة مباشرة هذه المعاملة المربحة حيث يقول: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا

(١) مكارم شيرازى ناصر. نفحات القرآن. م ١٠، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٨٤، ص ٢٧١.

بِبَيْعِكُمُ اَلَّذِي بٰايَعْتُمْ بِهِ وذٰلِكَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ﴾.

نعم لقد كانت هذه الدّواعي هي السبب في وصول معنويات المقاتلين المسلمين إلى أعلى مستوياتها الممكنة، فمع قلة عَدَدهم وعدّتهم استطاعوا أنّ يتغلبوا على عدوهم في شرق العالم وغربه.[1]

وفي **الآية الثّامنة** يخاطب المؤمنين مرّةً أُخرى ويأمرهم بالصبر والمثابرة والاستعداد لصدّ هجمات الأعداء، يقول عزّ وجلّ:

﴿يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِصْبِرُوا وصٰابِرُوا ورٰابِطُوا واِتَّقُوا اَللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ففي هذه الآية أربعة أوامر مهمّة **تضمن عزّة المؤمنين وانتصارهم**:

الأوّل، الأمر **بالصّبر** والصّمود أمام الأحداث المختلفة وهوى النّفس والشهوات، فيقول: **اصبروا** وهو في الواقع أساس كل انتصار.

ثُمّ يأمرهم بعد ذلك بالمصابرة، وهي من باب مفاعلة بمعنى الصّبر والاستقامة في مقابل صبر واستقامة العدو، وبتعبير آخر فإنّ مفهومها هو إنّه مهما كانت المشاكل كثيرة وصعبة فإنّ صبركم واستقامتكم أيها المؤمنون لا بدّ وأنّ يكون أكبر، وكلما زاد العدو من هجومه، عليكم أنّ تزيدوا من استقامتكم وصمودكم حتى تغلبوا العدو (**وصابروا**).

و في الأمر الثّالث يأمرهم بالمرابطة ويقول: «ورٰابِطُوا»، وهذه الجملة مأخوذة من مادة «**رباط**» وهي بالأصل بمعنى ربط شيء في مكان ما (كربط الفرس في محلٍ معين) وهي كناية عن الاستعداد الذي يعتبر الصمود وحماية الثّغور من أوضح مصاديقه، إذ إنَّ الجنود يحفظون دوابهم ووسائلهم ومعداتهم في ذلك المحل.

---

(١) مكارم شيرازى ناصر. نفحات القرآن. م ١٠، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٨٤، ص ٢٧٢.

ولذا فإنّ بعض المفسرين فسرها بحفظ الخيل والدّواب المركوبة في الثغور فقط، والاستعداد في مقابل العدو حتّى قالوا إنّ مفهومها الواسع يشمل الاستعداد لصناعة المعدات الحربية الحديثة ـ أعم من تلك التي يستفاد منها في حروب الجو أو الأرض أو البحر[١].

و لا شك في أنّ هذا لا يعني أنّ الآية الكريمة لا تشمل الحدود الثّقافيّة والعقائديّة، فإنّ مفهوم «رٰابِطُوا» واسعٌ إلى درجة أنّه يشمل كلّ استعداد للدّفاع مقابل العدو، ولذا شبّهت بعض الروايات الإسلاميّة، العلماء بحراس الحدود حيث يقف هؤلاء صفّاً بوجه جنود إبليس، ويحولون دون هجومهم على الأشخاص الفاقدين لقدرة الدفاع عن أنفسهم، يقول الإمام الصّادق عليه السلام: «**عُلَماءُ شيعتِنا مُرابطون فِي الثّغر الّذي يلي إبليس وعفاريتَه ويمنَعونَهُ عن الخروجِ على ضعفاءِ شِيعَتنا وعن أنْ يَتسلَّطَ عليهم إبليس**»[٢].

حتّى أنّه ورد في بعض الرّوايات عن الإمام عليّ عليه السلام تفسير جملة «**رابطوا**» بانتظار الصّلوات الواحدة بعد الأُخرىٰ[٣]، وهو في الحقيقة كالاستعداد في مقابل جنود الشّيطان (تأملوا جيداً).

وفي الأمر الرّابع، يأمرهم بالتّقوى، إشارة إلى أنّ الصّبر والاستقامة والمرابطة لا بدّ أن تكون جميعاً منسجمة ومعجونة بالتّقوى والإخلاص، وأن تكون منزهة عن كلّ رياء وتظاهر.[٤]

و في **الآية التّاسعة**، يأمرهم عزّ وجلّ بأن يقاتلوا على جبهتين ويغلظوا في القتال، جبهة الأعداء الدّاخليين والعناصر المخرّبة الّذين تغلغلوا في

---

(١) تفسير المراغي، ج ٤، ص ١٧٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٥.

(٣) تفسير مجمع البيان، ج ١ و٢، ص ٥٦٢.

(٤) مكارم شيرازى ناصر. نفحات القرآن. م ١٠، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٨٤، ص ٢٧٣.

صفوف المسلمين والّذين يستغلون الفرص لتضعيف الحكومة الإسلاميّة وزعزعة الأمن الداخلي، ويأمرهم أن يقفوا أيضاً بوجه الأعداء في الخارج الّذين أشارت الآية إليهم بعنوان الكفار، يقول تعالى: ﴿يٰا أَيُّهَا اَلنَّبِيُّ جٰاهِدِ اَلْكُفّٰارَ وَالْمُنٰافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوٰاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ اَلْمَصِيرُ﴾.

وبطبيعة الحال فإنّ الجهاد له معنى واسع، فكما يشمل المواجهة المسلحة يشمل أيضاً المواجهة الثقافية والاجتماعية والغلظة في الكلام والكشف عن الهويات والتهديد أيضاً،...

ومضافاً إلى ذلك فإن ما جاء في الآية الشّريفة يعتبر أمراً كلّياً، فإن لم يتجاوز المنافقون الحدود المعينة لا بدّ من مواجهتهم بالأساليب غير المسلحة فقط، وأمّا إذا كانت مؤامراتهم تشكل خطراً جدّياً، لم يكن إلاّ مواجهتهم بالجهاد المسلح وكسر شوكتهم، كما حدث مراراً في زمن الإمام علي عليه السلام.

وبتعبير آخر، فإنّه وإنْ كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله قد سلك طريق المداراة واللين مع المنافقين ولكن، كما وذكر ذلك سيد قطب في تفسير الظلال فإن اللين له مواضع وللشدّة مواضع اُخرى، وإذا لم يتصرف في كل موضع بما يناسبه، أدى الأمر إلى تضرر الشّريعة والمسلمين، وعليه فلا مانع من المداراة في شرائط معينة، واستعمال الشّدّة والخشونة وحتّى الجهاد المسلح في شرائط وظروف اُخرى[1] [2].

و في **الآية العاشرة** إشارة إلى مقام المجاهدين والقوى العسكريّة الإسلاميّة الشّامخ، وأفضليتهم وامتيازهم على الآخرين، يقول تعالىٰ: ﴿لاٰ يَسْتَوِي اَلْقٰاعِدُونَ

(١) تفسير في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٥٥.

(٢) مكارم شيرازى ناصر. نفحات القرآن. م ١٠، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٨٤، ص ٢٧٤.

مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي اَلضَّرَرِ واَلْمُجٰاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ بِأَمْوٰالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اَللّٰهُ اَلْمُجٰاهِدِينَ بِأَمْوٰالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ عَلَى اَلْقٰاعِدِينَ دَرَجَةً وكُلاً وَعَدَ اَللّٰهُ اَلْحُسْنىٰ وفَضَّلَ اَللّٰهُ اَلْمُجٰاهِدِينَ عَلَى اَلْقٰاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾.

و بهذا يقسّم القرآن المجيد المسلمين إلى مجموعتين «**المجاهدين**» و«**القاعدين**»، ثُمّ يقسم القاعدين إلى قسمين «**أُولِي اَلضَّرَرِ**» و«**غَيْرُ أُولِي اَلضَّرَرِ**» الذين يمتنعون عن الاشتراك في القتال لتخاذلهم ثم يعتبر أنّ الدرجات العظيمة والفضل الكبير والمغفرة والرّحمة الإلهيّة لا تشمل إلاّ المجاهدين.

و من هنا يتضح تماماً أنّه، وخلافاً لما هو المعروف اليوم في العالم من أنّ وظيفة القتال مع الأعداء مختصة بمجموعة خاصّة من النّاس.

إنّ وجوب القتال في الإسلام يكون في عهدة كلّ من يقدر على حمل السلاح وجهاد الأعداء ولهذا لم نعهد في عهد رسول اللّه ﷺ تشكيل جيش خاص بعنوان القوات المسلحة، وعندما تندلع الحرب كان كلّ من يقدر على حمل السلاح وباستلهام من القرآن المجيد يحمل سلاحه ويتجه نحو ميدان القتال، وبتعبير اليوم، فإنّ لكل فرد من المسلمين مكانه الخاص في صف التعبئة العسكريّة، وهذا الأمر صار سبباً في تعاظم القدرة العسكريّة عند المسلمين.[1]

وفي ختام هذه الفقرة ذهبتُ اسال أحد برامج الذكاء الاصطناعي حول إحدى مواد قانون الأمم المتحدة التي تهتم بدفاع الشعوب عن نفسها، فوجدتُ المادة٥١ من القانون تنص على:

«ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعي للدول، فرادى أو جماعات، في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة، وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ

(١) مكارم شيرازى ناصر. نفحات القرآن. م ١٠، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٨٤، ص ٢٧٥.

السلم والأمن الدولي. والتدابير التي اتخذها الأعضاء استعمالاً لحق الدفاع عن النفس تبلغ إلى مجلس الأمن فوراً، ولا تؤثر تلك التدابير بأي حال فيما للمجلس من سلطة وحق في أن يتخذ في أي وقت ما يرى ضرورة لاتخاذه من الأعمال لحفظ السلم والأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه.»

*** شرح موجز لأهمية المادة ٥١ :***

١. *** تكريس حق الدفاع الشرعي:** * تؤكد المادة حق الدول الفردي والجماعي في الدفاع عن نفسها إذا تعرضت لهجوم مسلح. هذا حق طبيعي وأصيل (حق طبيعي) موجود حتى بدون النص عليه في الميثاق، لكن المادة تعترف به صراحةً وتنظمه.

٢. *** شرط أساسي:** * الحق ينشأ فقط في حالة وقوع ***«اعتداء مسلح** (ARMED ATTACK) *» على دولة عضو في الأمم المتحدة.

٣. *** مؤقت إلى تدخل مجلس الأمن:** * هذا الحق في الدفاع عن النفس هو * **مؤقت. ويستمر فقط لحين تدخل **مجلس الأمن** * واتخاذه للتدابير اللازمة لحفظ أو إعادة السلم والأمن الدوليين. الدفاع عن النفس ليس بديلاً عن عمل المجلس، بل هو جسر لحين تدخله.

٤. *** إخطار مجلس الأمن فورًا:** * على أي دولة تستخدم حق الدفاع عن النفس أن تخطر * **مجلس الأمن فورًا** * بالإجراءات التي اتخذتها.

٥. *** عدم انتقاص من سلطة مجلس الأمن:** * لا يحق للدول التي تستخدم حق الدفاع عن النفس أن تعيق أو تمنع مجلس الأمن من ممارسة مسؤولياته الأساسية في حفظ السلم والأمن الدوليين وفقاً لأحكام الميثاق الأخرى (خاصة الفصل السابع). تصرفات الدفاع عن النفس تبقى خاضعة لتقييم المجلس.

مبادئ المقاومة ١

بعد يومين من البحث السابق وكثرة الامور التي مرت بي، كدتُ ان اترك هذه المسالة، ولكن بتوفيق منه تبارك وتعالى راودني سؤال مهم جداً يتعلق بـ «عقل المقاومة» وهو:

ما هي المبادئ القرآنية للمقاومة؟؟

بعبارة اخرى:

هل يمكن ان نوجد طريقاً بين الحرب والاستسلام؟ وذلك بالتصالح مع العدو والاتفاق معه على انشاء علاقات ودية او دبلوماسية او سياسية واجتماعية... وبذلك نترك «المقاومة» وننزل عند ما يريده العدو!!! فلذا اسرعتُ الى المصحف الشريف ابحثُ عن الآيات المباركات التي تتحدث عن هذه الموضوعة، فوجدت الآيات الاتية:

١ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنْ تُطيعُوا فَريقاً مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ كافِرينَ..﴾ (آل‌عمران: ١٠٠)

٢ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وما تُخْفي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ...﴾ (آل‌عمران: ١١٨)

٣ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنْ تُطيعُوا الَّذينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرينَ..﴾ (آل‌عمران: ١٤٩)

٤ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُباتٍ أَوِ انْفِرُوا جَميعاً...﴾ (النساء: ٧١)

٥ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنينَ أَ تُريدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبيناً...﴾ (النساء: ١٤٤)

٦ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ والنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمينَ..﴾ (المائدة: ٥١)

٧ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذينَ اتَّخَذُوا دينَكُمْ هُزُواً ولَعِباً مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ والْكُفَّارَ أَوْلِياءَ واتَّقُوا اللّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ...﴾ (المائدة: ٥٧)

٨ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا لَقيتُمُ الَّذينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبارَ...﴾ (الأنفال: ١٥)

٩ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا لَقيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللّهَ كَثيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ...﴾ (الأنفال: ٤٥)

١٠ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإيمانِ ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ...﴾ (التوبة: ٢٣)

١١ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ولْيَجِدُوا فيكُمْ غِلْظَةً واعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقينَ...﴾ (التوبة: ١٢٣)

١٢ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً في سَبيلي وابْتِغاءَ مَرْضاتي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وأَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وما أَعْلَنْتُمْ ومَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبيلِ...﴾ (الممتحنة: ١)

١٣ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ

الْآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ...﴾ (الممتحنة: ١٣)

١٤ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وإِنْ تَعْفُوا وتَصْفَحُوا وتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحيمٌ...﴾ (التغابن: ١٤)

١٥ ـ ﴿وَ لَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ومَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ..﴾ (هود: ١١٣)

١٦ ـ ﴿أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ومَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ويُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا...﴾ (النساء: ٦٠)

١٧ ـ ﴿وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ...﴾ (التوبة (البراءة): ١٢)

١٨ ـ ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللّٰهِ قَالُوا أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَ لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ونَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ولَنْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا...﴾ (النساء: ١٤١)

فقمتُ بتصنيف هذه الايات المباركات لعدة مبادئ اساسية، وهي:

المبدأ الاول: الكفر بالطاغوت...

المبدأ الثاني: عدم الولاية للظالمين والكفار..

المبدأ الثالث: عدم الركون

المبدأ الرابع: الحذر والثبات.

المبدأ الخامس: قتال أئمة الكفر

مبادئ المقاومة ٢

بعد ان حددتُ المبادئ التي تقوم عليها مقاومة المجاهدين الاحرار للعدو الاستكباري، تولّد عندي دافع البحث في كل واحد من المبادئ الخمسة بشكل أكثر حتى اذكر ما اتوصل اليه الى الشباب الذين عادةً ما يطرحون مسائل من هذا النوع بخصوص «مقاومة الشعوب المسلمة».

المبدأ الاول: الكفر بالطاغوت...

يقوم هذا المبدأ على قوله تعالى في سورة النساء الاية ٦٠، حيث يقول الحق تعالى:

﴿أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ **يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ** وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا...﴾.

فهنا مطلبين اساسيين:

«الاول: الكفر بالطاغوت

فقد امرنا الحق تعالى بالكفر بالطاغوت في موردين، **احدهما** ما ورد في سورة البقرة، حيث جعله ركناً سديداً من اركان التمسك بالعروة الوثقى، حيث يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ** لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة: ٢٥٦)

والاخر ما ورد في سورة النحل، حيث جُعل الكفر بالطاغوت واجتنابه جزءً اساسياً في دعوة ووظيفة الانبياء سلام الله عليهم اجمعين، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ ومِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل: ٣٦)

ف كلّ من يرغب في حكم الطاغوت فهو ليس مؤمنا ولو زعم ذلك، وأنّ التحوّل من حكم الله تعالى ورسوله إلى حكم الطاغوت يوجب خروج الناس عن الإيمان.

والمراد بـ الطّاغوت:

ـ رُويَ عن السيدين الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام: إن المعني به كل من يتحاكم إليه ممن يحكم بغير الحق.[١]

ـ «الطاغوت»: الـ كاهن، والشيطان، وكلّ رأس ضلال، وكلّ معبود من دون الله تعالى، أو صَدَّ عن عبادة الله، أو اطيع بغير أمر الله، وكلّ متعد.[٢]

ـ مشتقّة من الطغيان ـ، التجاوز والتعدي وكسر الحدود وتجاهل القيود، أو كل شيء يكون وسيلة للطغيان أو التمرّد.[٣]

ـ **الطاغوت** مصدر بمعنى كثير الطغيان والتجاوز عن حدّ العبوديّة لله تعالى واستعلاء عليه، وأطلق على كلّ معبود من دون الله تعالى...»[٤]

---

(١) طبرسى فضل بن حسن. مجمع البيان. م ٣، دار المعرفة، ١٤٠٨، ص ١٠٢.

(٢) انظر التعليقة / الكلينى، محمد بن يعقوب، كافي (ط ـ دار الحديث) ـ قم، ط١، ق١٤٢٩. ج١؛ ص٦١٥

(٣) مكارم شيرازى ناصر. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. م ٣، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٧٩، ص ٢٩٧.

(٤) سبزوارى عبدالاعلى. مواهب الرحمن في تفسير القرآن (سبزوارى). م ٨، مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السبزوارى، ١٤١٤، ص ٣٤٤.

الثاني: التحاكم والرجوع الى الطاغوت.

الامر الثاني الذي تؤكد عليه الاية المباركة، هو حكم ورأي الشارع المقدس في مسالة الرجوع والتحاكم الى الطاغوت، حيث يستفاد من نصوص روايات أئمة اهل البيت ـ حيث استشهدوا بهذه الآية ـ عدم جواز التحاكم والرجوع الى الطواغيت، منها ما ورد في الباب الأول من أبواب صفات القاضي من كتاب القضاء في وسائل الشيعة للحر العاملي:

ـ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ ع قَالَ: فِي رَجُلٍ كَانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ أَخٍ لَهُ مُمَارَاةٌ فِي حَقٍّ فَدَعَاهُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ فَأَبَى إِلَّا أَنْ يُرَافِعَهُ إِلَى هَؤُلَاءِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ الَّذِينَ قَالَ اللّهُ عَزَّ وجَل أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ الْآيَةَ.(١)

ـ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مُسْكَانَ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللّهِ ع قَوْلُ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ فِي كِتَابِهِ ولا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وتُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ ـ فَقَالَ يَا أَبَا بَصِيرٍ إِنَّ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ قَدْ عَلِمَ أَنَّ فِي الْأُمَّةِ حُكَّاماً يَجُورُونَ أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَعْنِ حُكَّامَ أَهْلِ الْعَدْلِ ولَكِنَّهُ عَنَى حُكَّامَ أَهْلِ الْجَوْرِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّهُ لَوْ كَانَ لَكَ عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ فَدَعَوْتَهُ إِلَى حُكَّامِ أَهْلِ الْعَدْلِ فَأَبَى عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ يُرَافِعَكَ إِلَى حُكَّامِ أَهْلِ الْجَوْرِ لِيَقْضُوا لَهُ لَكَانَ مِمَّنْ حَاكَمَ إِلَى الطَّاغُوتِ وهُوَ قَوْلُ اللّهِ عَزَّ وجَلَ أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ.(٢)

ـ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللّهِ ع عَنْ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِنَا بَيْنَهُمَا مُنَازَعَةٌ فِي دَيْنٍ أَوْ مِيرَاثٍ فَتَحَاكَمَا إِلَى السُّلْطَانِ أَوْ إِلَى الْقُضَاةِ أَ يَحِلُّ

(١) الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة ـ قم، ط١ ١٤٠٩ ق. ج٢٧؛ ص١٢

(٢) الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن، وسائل الشيعة ـ قم، ط١، ١٤٠٩ ق. ج٢٧؛ ص١٢

ذَلِكَ فَقَالَ مَنْ تَحَاكَمَ إِلَيْهِمْ فِي حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ فَإِنَّمَا تَحَاكَمَ إِلَى طَاغُوتٍ ومَا يَحْكُمُ لَهُ فَإِنَّمَا يَأْخُذُ سُحْتاً وإِنْ كَانَ حَقُّهُ ثَابِتاً لِأَنَّهُ أَخَذَهُ بِحُكْمِ الطَّاغُوتِ وقَدْ أَمَرَ اللّٰهُ أَنْ يُكْفَرَ بِهِ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ الْحَدِيثَ.[1]

وفي ختام هذا المبدأ، خلِصتُ الى:

ان المطلبين المذكورين، أحدهما يبين الجانب النظري والأخر يمثل الجانب العملي بخصوص مسالة موقفنا نحن المسلمون المجاهدون تجاه الطاغوت،

فالجانب النظري يتحقق بالكفر بالطاغوت وعدم الايمان به، والجانب العملي يتحقق بعدم الرجوع اليه والاعتماد عليه في كل الأمور والتي منها الحكم وحل النزاعات بين افراد المجتمع الإسلامي.

فتتحقق مقاومته ومواجهته من خلال رفض احكامه والاجتناب عنها بصورة نظرية وعملية.

---

(١) نفس المصدر ج٢٧؛ ص١٣

مبادئ المقاومة ٣

المبدأ الثاني: عدم الولاية للظالمين والكفار..

١ ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإيمانِ ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ...﴾ (التوبة: ٢٣)

٢ ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً في سَبيلي وابْتِغاءَ مَرْضاتي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وأَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وما أَعْلَنْتُمْ ومَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبيلِ...﴾ (الممتحنة: ١)

٣ ـ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَما يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ...﴾ (الممتحنة: ١٣)

قد ورد النهي عن اتخاذ الكفار أولياء في مواضع من كلامه تعالى، بعضها في سورة المائدة وآل عمران والنساء والأعراف وفيها إنذار شديد وتهديدات بالغة كقوله تعالى: ﴿وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: (المائدة: ـ ٥١)، وقوله: ﴿وَ يُحَذِّرُكُمُ اَللّٰهُ نَفْسَهُ﴾: (آل عمران: ـ ٢٨)، وقوله: ﴿وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اَللّٰهِ فِي شَيْءٍ﴾: (آل عمران: ـ ٢٨)، وقوله: ﴿أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰاناً مُبِيناً﴾: (النساء: ـ ١٤٤).

ولكي يتضح الكلام، قلتُ في نفسي لابد من اعرفُ المراد من:

١ـ الاتخاذ

٢ ـ الاولياء

فوجدتُ ان «الاتخاذ» هو الافتعال من أخذ الشيء. **والاتخاذ أعداد الشيء لأمر من الأمور**. واتخاذهم اولياء: هو ان يعتقدوا موالاتهم ووجوب نصرتهم فيما ينوبهم...[١]

و قال ابن فارس:

الهمزة والخاء والذال أصل واحد تتفرَّع منه فروعٌ متقاربة في المعنى. [أمّا] أخذ فالأصل حَوْز الشئ وجبْيُه وجمعه. تقول أخذت الشئ آخُذه أخْذاً. قال الخليل: هو خلاف العطاء، وهو التناول.[٢]

وذهب الفيومي الى ان (الاتّخاذُ) افْتعالٌ من (الأخْذِ) يقالُ (اتَّخَذُوا) في الحَرْب إذا أَخَذَ بَعْضُهُمْ بعضاً ثم ليَّنُوا الهمزةَ وأدغَمُوا فقالوا (اتَّخَذُوا) ويُسْتَعْمَلُ بمَعْنَى جَعَلَ ولمَّا كثُر اسْتِعْمالُه تَوَهَّمُوا أَصَالَةَ التَّاءِ فَبَنَوْا منه وقَالُوا (تَخِذتُ) زيداً صَدِيقاً مِن بابِ تَعِب إذا جَعَلْتهُ كذلِكَ والمصدرُ (تَخْذاً) بفتْحِ الخاءِ وسُكُونِها (و تَخِذْتُ) مالًا كَسَبْتُه.[٣]

وفي معنى «الاولياء او الولي»

ـ قال الطوسي «الأولياء جمع ولي وهو من كان مختصاً بايلاء التصرف في وقت الحاجة...»[٤]

ـ وقال العلامة الطباطبائي «**التولي ـ هو ان ـ يعطي للولي أن يداخل أمور وليه ويتصرف في بعض شئون حياته، وهذا هو المحذور الذي يستدعي**

---

(١) الطوسى محمد بن حسن. التبيان في تفسير القرآن. م ٥، دار إحياء التراث العربي، ص ١٩٥.

(٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة ـ قم، ط١، ١٤٠٤ق. ج١؛ ص٦٨

(٣) الفيومى، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ـ قم، ط٢، ١٤١٤ق. ج٢؛ ص٧

(٤) الطوسى محمد بن حسن. التبيان في تفسير القرآن. م ٥، دار إحياء التراث العربي، ص ١٩٥.

النهي عن تولي الـ كفار حتى لا يداخلوا في أمورهم الداخلية ولا يأخذوا بمجامع قلوبهم، ولا يكف المؤمنون ولا يستنكفوا عن الإقدام فيما يسوؤهم ويضرهم...»[1]

ـ **وللولاية مراتب متعددة** ذكرها السيد العارف اية الله السبزواري في تفسيره، بقوله "مادة (ولي) تدلّ على التبعية وتحقّق شيئين أو أكثر حصولا ليس بينهما ما ليس منهما، ولذلك مصاديق مختلفة:

منها: الوليّ، وهو الذي يلي أمر غيره، فيكون تابعا له، كوليّ اليتيم، ووليّ المرأة، ووليّ الأمر، ونحو ذلك. والتبعية تشتدّ وتضعف في الموارد، وقد اختلط على كثير هذه المراتب، فاعتبروا لكلّ مرتبة معنى خاصا لها، إلّا أنّ الأمر ليس كذلك.

و منها: الصديق والقريب، إلى غير ذلك ممّا ذكروه، والجميع إنّما هي مصاديق لهذه المادة التي لها مراتب مختلفة شدّة وضعفا، فكلّما اشتدّت التبعية والقرب الذي له دواعي وأسباب متعدّدة، كانت الولاية شديدة، أعلاها الولاية التكوينيّة والتشريعيّة، الثابتتان لله تعالى ورسوله وأولياء الله تعالى، وقد جمعت في قوله تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥]، فتكون جهة الولاية هي الطاعة، وقد تكون من جهة التقوى والانتصار، فالوليّ هو الناصر، وإن كانت جهة الالتيام في المعاشرة والمحبّة التي هي الانجذاب الروحيّ. وإن كانت من جهة النسب، فالوليّ هو الذي يرثه من غير مانع يمنعه، إلى غير ذلك من المعاني التي ذكروها في هذه المادة التي هي إلى الدواعي أقرب، ....

فالولاية نوع اقتراب ومعاشرة مع شيء، توجب ارتفاع الموانع والحجب بينهما، ويختلف شدّة وضعفا، كما تختلف من جهة الدواعي، وأعظمها ولاية

(١) الطباطبايى محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. م ٩، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٥٢، ص ٢٠٦.

الله تعالى لعباده المؤمنين التي هي أشدّ مراتبها التي تجتمع فيها الكثير من الجهات والدواعي، ففيها النصرة والتقوى والمحبّة والطاعة، والوليّ فيها هو الذي يحكم في أمره بما يشاء، وغير ذلك ممّا ذكروه.

و الولاية قد تكون ولاية الانتصار، فحينئذ يكون الولي هو الناصر الذي لا يمنعه شيء عن نصرة من اقترب منه، وقد تكون ولاية المحبّة التي هي الانجذاب، فالولي هو الذي لا يملك الإنسان نفسه دون أن ينفعل عن إرادته، وقد تكون ولاية النسب الذي هو نوع اقتراب بين المنتسبين تكوينا، فالوليّ هو الذي يرث من الآخر من غير مانع يمنعه...[١]

وفي بيان المراد من «اتخاذهم اولياء» وجدتُ اقوال عديدة، ولكن الشيخ السبحاني لخصها في:

١. القعود عن قتال المشركين بحجّة أنّ فيهم الآباء والإخوان.

٢. نصرة المشركين عند قتال المسلمين لهم، بنفس الحجّة.

٣. اتّخاذهم وليجة وإخبارهم بأسرار المسلمين، كما فعل حاطب بن بلتعة[٢].[٣]

ففي هذا الخطاب نهيٌ واضح من قبل الله تعالى للمؤمنين عن اتخاذ آبائهم وإخوانهم أولياء متى استحبوا الكفر، وكذلك اعداء الله تعالى واعداء المؤمنين انفسهم.

---

(١) السبزواری، عبدالاعلی، مواهب الرحمن في تفسير القرآن ط٢، ١٤٠٩ ه.ق. ج١١ ص٢٩٠

(٢) روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حيث كتب إلى قريش يخبرهم بخبر النبي صلى الله عليه وآله لما أراد فتح مكة. / انظر طبرسی فضل بن حسن. مجمع البيان. م ٥، دار المعرفة، ١٤٠٨، ص ٢٥.

(٣) السبحانی التبريزی جعفر. منية الطالبين في تفسير القرآن المبين. م ١٢، مؤسسه امام صادق عليه السلام، ١٣٩٥، ص ٣٧٨.

مبادئ المقاومة ٤

المبدأ الثالث: عدم الركون

وانا اطالع اخبار ما يجري على المسلمين بصورة عامة واهل غزة الصمود بصورة خاصة من قتلٍ وتجويعٍ وتشريدٍ وهتكٍ لكل القوانين العرفية والدولية والمدنية من قبل الوحش البشري الصهيو امريكي...

إذ وقعت عيني على خبر مفاده «**طلب من قبل السفارات الامريكية للحكومات التي يعيش بعض ابناء شعبها روح المقاومة والمواجهة للمشروع الصهيو امريكي في المنطقة بوجوب حصر او تسليم سلاح المقاومة للحكومة**»...

فلذا قررتُ اكمال البحث في المبدأ الثالث من المبادئ القرآنية للمقاومة، لأنني ظننتُ كفاية بيان المبدأين السابقين، ولم أحب الاطالة على الشباب.

حيث يقول الحق تعالى:

﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ..﴾ (هود: ١١٣)

والذي يرتكز على ركنين اساسيين، وهما:

١ ـ المراد بالظلم في «الذين ظلموا».

يراد من الظلم في اللغة، وَضْع الشيء غيرَ موضعه تعدِّياً[١] او فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ[٢]

وبالرغم من وضوح هذا المفهوم فقد عرّفه الشريف المرتضى بقوله: «**الظلم**: ـ هو ـ كل ضرر ليس بمستحق ولا نفع فيه ولا دفع ضرر أعظم منه معلوم أو مظنون، ولا يفعل على مجرى العادة ولا على جهة الدفع عن النفس.»[٣]

ولكنَ العلامة الطباطبائي ذكرَ معنىً مغايراً لما هو المتعارف بين الناس، **حيث أرجع الأمر الى القبول والاستجابة لحقيقة الدعوة الالهية، فالذين قبلوا واستجابوا لها سموا بـ «الذين امنوا»، والذين لم يقبلوا بها ولم يستجيبوا لها سموا بـ «الذين ظلموا»**.

حيث يقول رضوان الله عليه «المراد بالذين ظلموا في الآية ليس من تحقق منه الظلم تحققا ما وإلا لعم جميع الناس إلا أهل العصمة ولم يبق للنهي حينئذ معنى، وليس المراد بالذين ظلموا الظالمين أي المتلبسين بهذا الوصف المستمرين في ظلمهم فإن لإفادة الفعل الدال على مجرد التحقق معنى الصفة الدالة على التلبس والاستمرار أسبابا لا يوجد في المقام منها شيء ولا دلالة لشيء على شيء جزافا.

بل المراد بالذين ظلموا أناس حالهم في الظلم حال أولئك الذين قصهم الله في الآيات السابقة من الأمم الهالكة، وكان الشأن في قصتهم أنه تعالى أخذ الناس جملة واحدة في قبال الدعوة الإلهية المتوجهة إليهم ثم قسمهم إلى من قبلها منهم وإلى من ردها ثم عبر عمن قبلها بـ «الذين آمنوا»

---

(١) ابن فارس احمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة. م ٣، ص ٤٦٨.

(٢) فيومى احمد بن محمد. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. م ٢، ص ٣٨٦.

(٣) علم‌الهدى على بن حسين. رسائل الشريف المرتضى. م ٢، دار القرآن الكريم، ١٤٠٥، ص ٢٧٦.

في بضعة مواضع من القصص المذكورة وعمن ردها بـ «الذين ظلموا» وما يقرب منه في أكثر من عشر مواضع كقوله: «وَ لا تُخاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا» وقوله: ﴿وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ وقوله: ﴿وَ تِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وعَصَوْا رُسُلَهُ واتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ وقوله: ﴿أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ وقوله: ﴿أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَما بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ إلى غير ذلك.

فقد عبر سبحانه عن ردهم وقبولهم قبال الدعوة الإلهية وبالقياس إليها بالفعل الماضي الدال على مجرد التحقق والوقوع، وأما في الخارج من مقام القياس والنسبة فإن التعبير بالصفة كقوله: «وَ قِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» وقوله: «وَ ما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ» وقوله: «وَ لا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ» إلى غير ذلك وهو كثير.»[1]

وعليه يكون «الـ كفار والمشركون» من ابرز المصاديق واوضح الافراد لمفهوم «الذين ظلموا» لانهم وقفوا في قبال دعوة الحق تعالى وعلى طول الزمان، بل اصبح بعضهم «**عدوي وعدوكم**» وكذلك «**يحآدوون الله ورسوله**».

٢ ـ المراد من «الركون»

أ ـ الركون في اللغة

قال ابن فارس «ركَنْت إليه أى مِلْتُ»[2]

وقال الفيومي «رَكِنْتُ: إلَى زَيْدٍ اعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ... وعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾»[3]

---

(١) الطباطبايى، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١١، ص: ٥٢

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ـ ج٢؛ ص٤٣٠

(٣) الفيومى، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ـ ج٢؛ ص٢٣٧

وقال ابن منظور «رَكِنَ إلى الشيءِ ورَكَنَ يَرْكَنُ ويَرْكُنُ رَكْناً ورُكوناً فيهما ورَكانَةً ورَكانِيَةً أَي مال إليه وسكن»[١].

فالركون «هو الاستناد والاعتماد».

ب ـ الركون عند صاحب الميزان

لما راجعتُ كتاب الميزان في تفسير القرآن، وجدتُ انه ذكر نوعين للركون والاعتماد، بقوله:

«والاعتماد على الذين ظلموا، **تارة يكون في نفس الدين**، كأن ياخذون بعض معارفه وتعاليمه او حقائقه عن طريق الذين ظلموا، كما نقل ان بعض المسلمين كانوا يسالون بعض الاحبار لمعرفة الحكم الشرعي.

واخرى يكون الاعتماد عليهم في حياة المجتمع الدينية، كأن يسمح لهم بنوع من المداخلة في إدارة أمور المجتمع الديني بولاية الأمور العامة أو المودة التي تقضي إلى المخالطة والتأثير في شئون المجتمع أو الفرد الحيوية.[٢]

ثم يخلص السيد العلامة رضوان الله عليه من البحث في هذه الاية المباركة ـ آية الركون ـ الى عدة امور[٣]:

الأول: أن المنهي عنه في الآية إنما هو الركون إلى أهل الظلم في أمر الدين أو الحياة الدينية كالسكوت في بيان حقائق الدين عن أمور يضرهم أو ترك فعل ما لا يرتضونه أو توليتهم المجتمع وتقليدهم الأمور العامة أو إجراء الأمور الدينية بأيديهم وقوتهم وأشباه ذلك.

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب ـ ج١٣ ص١٨٥

(٢) الطباطبايى، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، ج١١، ص: ٥٢

(٣) الطباطبايى، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن ج١١ ص٥٥ وما بعدها.

الثاني: أن الركون المنهي عنه في الآية أخص من الولاية المنهي عنها في آيات أخرى كثيرة فإن الولاية هي الاقتراب منهم بحيث يجعل المسلمين في معرض التأثر من دينهم أو أخلاقهم أو السنن الظالمة الجارية في مجتمعاتهم وهم أعداء الدين، وأما الركون إليهم فهو بناء الدين أو الحياة الدينية على ظلمهم فهو أخص من الولاية موردا أي أن كل مورد فيه ركون ففيه ولاية من غير عكس كلي،

الثالث: أن الآية بما لها من السياق المؤيد بإشعار المقام إنما تنهى عن الركون إلى الذين ظلموا فيما هم فيه ظالمون أي بناء المسلمين دينهم الحق أو حياتهم الدينية على شيء من ظلمهم وهو أن يراعوا في قولهم الحق وعملهم الحق جانب ظلمهم وباطلهم[1] حتى يكون في ذلك إحياء للحق بسبب إحياء الباطل، ومآله إلى إحياء حق بإماتة حق آخر كما تقدمت الإشارة إليه.

و أما الميل إلى شيء من ظلمهم وإدخاله في الدين أو إجراؤه في المجتمع الإسلامي أو في ظرف الحياة الشخصية فليس من الركون إلى الظالمين بل هو دخول في زمرة الظالمين».

ج ـ المراد من «الركون» على لسان الفقهاء

وعندما راجعتُ كلمات الفقهاء الامامية عبر قرون الغيبة الكبرى لمولانا الحجة بن الحسن عجل الله فرجه الشريف، وجدتُ انه يوجد تدرج

---

(١) اي يراعون ايديولوجية الكفار والمشركين خوفاً ان تنقدح او تُضرب بالاعمال التي يؤدونها، فلا ينشرون مفاهيم الجهاد في سبيل الله وسبيل المستضعفين حتى لا ينزعج المحتل والغاصب لإرض المسلمين. ولا يعملون على دعم وسند مقاومة المحتلين حتى لا يتأذى العدو الغاشم، بل يريدون إقامة الحق والعمل عليه بمساندة اهل الباطل وهذا هو قتل للحق وليس إقامة الحق.
وهذا عبارة اخرى عن النهي عن التطبيع السياسي والاقتصادي والثقافي....

وتطور في تحديد المراد من كلمة «الركون»، من الميل للظالمين ومحبتهم الى الاخذ بقولهم، الى الاتباع والاقتداء بهم، والوكالة ثم الوصايا والتحاكم لهم واخيراً الموالاة لهم او توليهم،

وبعبارة اخرى: ان بعض الفقهاء قد استعملوه في احكام فردية فقط، من قبيل محبته والانصات اليه، او الصلاة خلف الظالم، او الوكالة، او التعويل على قوله.

واما بعضهم الاخر فقد استعملوه في الاحكام العامة للمجتمع الاسلامي بصورة عامة، من قبيل الاحتكام للفاسق، او قبول شهادته في الحكم، او التسليم لولايته وادارته لأمور المجتمع.

واليك بعض نماذج فتاواهم:

١ـ كلام الشريف المرتضى

«**مسألة [٥٥] [إمامة الفاسق]** ومما ظن انفراد الإمامية به: منعهم من الائتمام في الصلاة بالفاسق، ومالك يوافقهم في هذه المسألة[١]، وباقي الفقهاء يجيزون الائتمام في الصلاة بالفاسق[٢].

دليلنا: الإجماع المتكرر، وطريقة اليقين ببراءة الذمة، وأيضا قوله تعالى: «وَ لاٰ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّٰارُ» [٣]، **وتقديم الإمام في الصلاة ركون إليه**»[٤]

---

(١) المدونة الكبرى: ج ١ـ٨٣ـ٨٤، بدائع الصنائع: ج ١ـ١٥٦، فتح العزيز: ج ٤ـ٣٣٠، المجموع: ج ٤ـ٢٥٣، المغني (لابن قدامة): ج ٢ـ٢٢، شرح فتح القدير: ج ١ـ٣٠٥.

(٢) الفتاوى الهندية: ج ١ـ٨٤، بداية المجتهد: ج ١ـ١٤٧ـ١٤٨، المجموع: ج ٤ـ٢٥٣، المغني (لابن قدامة): ج ٢ـ٢١ـ٢٢، المحلى: ج ٤ـ٢١٠، بدائع الصنائع: ج ١ـ١٥٦، شرح فتح القدير: ج ١ـ٣٠٤، فتح العزيز: ج ٤ـ٣٣٠.

(٣) سورة هود: الآية ١١٣.

(٤) علم الهدى علي بن حسين. الانتصار. ص ١٥٧.

٢ـ كلام المحقق الحلي

«مسألة: عدالة الإمام شرط فلو أم الفاسق لم ينعقد، وأعيدت ظهرا وكذا أرباب الأهواء، والبدع...

دليلنا ـ **ان أمر الائتمام بالفاسق ركون الى الظالم نفسه** فيكون حراما لقوله تعالى ﴿وَ لاٰ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّٰارُ﴾ ويلزم من النهي فساد الصلاة»[١]

٣ـ كلام العلامة الحلي

أ ـ **التعويل على قول الـ كافر والفاسق:**

حيث يقول: لا يجوز التعويل على قول الكافر والفاسق؛

لقوله تعالى ﴿ولاٰ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[٢] ولا يقبل قول الكافر في شيء إلاّ في الإذن في دخول الدار، وفي قبول الهدية[٣].

ب ـ **الوثوق به**، حيث يقول في شروط الامام:

«أن يكون مسلما ليراعي مصلحة المسلمين والإسلام، وليحصل **الوثوق بقوله، ويصحّ الركون إليه**، فإنّ غير المسلم ظالم وقد قال اللّه تعالى ﴿وَ لاٰ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾».[٤]

ج ـ **الائتمام به**، حيث يقول في اشتراط العدالة في صلاة الجماعة: «**العدالة شرط عند علمائنا كافة**، فلو أمّ الفاسق لم تنعقد وأعيدت ظهرا ـ خلافا للجمهور كافّة ـ لأنّ **الائتمام ركون إلى الفاسق وهو ظالم**، فيكون

---

(١) المحقق الحلى جعفر بن حسن. المعتبر في شرح المختصر. م ٢، ص ٣٠٦.

(٢) هود: ١١٣.

(٣) العلامة الحلى حسن بن يوسف. تذكرة الفقهاء (ط الحديثة: الطهارة إلى الجعالة). م ٣، ص ٢٥.

(٤) نفس المصدر، ج ٩،ص ٣٩٣.

منهيا عنه، لقوله تعالى ولاٰ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا.»[١]

د ـ **السكون الى ذبح الكافر**، «لأنّ الإخلاد إلى الكفّار في الذبح ركون إلى الظالم، فيندرج تحت النهي في قوله تعالى ولاٰ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّٰارُ»[٢]

٤ ـ **ما افاده المقدس الاردبيلي في مجمعه**، عند ذكره اقسام المتاجر، حيث استفاد من ان «الركون» **هو**:

أ ـ الميل والحب، وهذا نصه:

«و من مدح سلطانا جائرا، أو تخفّف وتضعضع له طمعا فيه كان قرينه في النّار» وقال ﷺ : «قال اللّه عزّ وجلّ ﴿ولاٰ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّٰارُ﴾».

وهذه تدلّ على أنّ الميل إليه ـ ليصل إليه من دنياه شيء ـ داخل في الآية، وإن أحبّ بقائه ووجوده لذلك كذلك.[٣]

ب ـ الميل والمعونة، حيث قال:

«قيل: الرّكون هو الميل القليل، وإذا كان الميل القليل إليهم موجبا لمسّ النّار الّذي يدلّ على أنّه كبيرة، فمعاونتهم بالطريق الأولى موجبة لمسّ النّار.»[٤]

ج ـ **الاقتداء بالظالم**، حيث يقول في شرائط امام الجماعة، «بان غير المؤمن فاسق ظالم، والاقتداء به ركون اليه، وهو منهي بقوله تعالى «وَ لاٰ تَرْكَنُوا» [٥]

---

(١) نفس المصدر ج ٤، ص ٢٢.

(٢) العلامة الحلي حسن بن يوسف. مختلف الشيعة في أحكام الشريعة. م ٨، ص ٣١٧.

(٣) المقدس الاردبيلى احمد بن محمد. مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان. م ٨، ص ٦٨.

(٤) نفس المصدر ج٨ ص ٦٤.

(٥) نفس المصدر، ج ٣، ص ٢٤٦.

٥ ـ كلام المحقق الكركي

«**قوله**: (الثالث: الإسلام، فلا تصح وصية المسلم إلى كافر وإن كان رحما).

وذلك لأن الكافر ليس من أهل الولاية على المسلمين، ولا من أهل الأمانة. والركون إليه منهي عنه بقوله تعالى ﴿ولاٰ تَرۡكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾[١]

قوله: (الرابع: العدالة، وفي اعتبارها خلاف، الأقرب ذلك).

اختلف الأصحاب في اشتراط العدالة في الوصي، فقال الشيخ في المبسوط، والمفيد في المقنعة، وابن حمزة، وسلار، وابن البراج، وأكثر الأصحاب بالاشتراط، واضطراب كلام ابن إدريس، فاشترطها تارة، ونفي الاشتراط أخرى.

وذهب المصنف في المختلف إلى عدم الاشتراط.

والأصح الأول. ـ دليلنا ـ **أن الوصية استيمان، والفاسق ليس أهلا له، لوجوب التثبت عند خبره.**

أن الوصية تتضمن الركون قطعا، والفاسق ظالم، فلا يجوز الركون إليه لقوله تعالى: ﴿ولاٰ تَرۡكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا..﴾»[٢]

٦ ـ كلام الشيخ الاعظم، عند ذكره النوع الرابع الذي يحرم الاكتساب به لكونه عملا محرما في نفسه، حيث قال: «الحادية والعشرون: مدح من لا يستحق المدح أو يستحق الذم. ذكره العلامة في المكاسب المحرمة، والوجه فيه واضح من جهة قبحه عقلا، ويدل عليه من الشرع قوله تعالى: ﴿ولاٰ تَرۡكَنُوا إِلَى الَّذِينَ...﴾»[٣]

---

(١) المحقق الكركى على بن حسين. جامع المقاصد في شرح القواعد. م ١١، ص ٢٧٣.

(٢) نفس المصدر م ١١،ص ٢٧٤.

(٣) الانصارى مرتضى بن محمدامين. م ٤، ص ٢٥٥.

حيث يستفاد من كلامه ان المدح نوع من انواع الركون، وبه يتم الاستدلال المذكور.

٧ ـ **ما ذكره السيد الخوئي**: «قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[١] **فإنّ الركون المحرّم هو الميل إليهم**، فيدلّ على حرمة إعانتهم بطريق الأولوية. **أو المراد من الركون المحرّم هو الدخول معهم في ظلمهم**.»[٢]

٨ ـ **كلام السيد الحائري**.

الدليل على اشتراط العدالة في القضاء فقد يستدلّ على ذلك بعدّة وجوه:

الوجه الأوّل ـ هو التمسّك بقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ، ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ بدعوى أنّ الفاسق ظالم، فالتحاكم إليه ركون إلى الظالم. وهذا الوجه لو تمّ فإنّما يثبت حرمة التحاكم إلى الفاسق، وبالملازمة العرفيّة أو القطع بعدم الانفكاك يثبت عدم نفوذ قضائه.[٣]

٩ ـ **كلام الشيخ السيفي المازندراني**

ذكر الشيخ في كتابه، بان **تولي الامور او ادارتها** من قبل الظالم هو من الركون المنهي عنه، وهذا نصه:

«إنّ حفظ أموال الميت من الضياع والقيام بإيصالها إلى مستحقيه مما لا بدّ منه، وـ اذا ـ يتعذّر الوصول إلى الحاكم ودار الأمر بين عدول المؤمنين وغيرهم يكون المتيقن من رضى الشارع ولاية العدول دون غيرهم بل هو

---

(١) هود ١١٣: ١١.

(٢) الخوئي سيد ابوالقاسم. موسوعة الإمام الخوئي. م ٣٥، ص ٦٤٩.

(٣) الحسيني الحائري كاظم. القضاء في الفقه الإسلامي، ص ٩٢.

الأقوى؛ نظراً إلى أنّه مقتضى الإطلاقات، مثل قوله تعالى ﴿لاٰ يَنٰالُ عَهْدِي الظّٰالِمِينَ﴾[١] وقوله ﴿ولاٰ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّٰارُ﴾[٢] فإنّ **تولية الأُمور من شئون الولاية** المفسّر بها العهد في الآية الأُولى، كما أنّه نوع من الركون المنهي عنه في الثانية.»[٣]

النتيجة:

اننا لا يمكن لنا الاعتماد والاستناد الى الدول الكافرة التي تضمر العداء والكراهية للإسلام والمسلمين، لأنهم المصداق الواضح للظلم والطغيان وهم يقتلون الاطفال والنساء يومياً بلا اي رادع او خجل من أنفسهم، وكيف يكون الركون لهم والحق تعالى يخبرنا عنهم:

﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ (النساء: ١٠٢)

والميلة الواحدة، أي: جملة ـ حملة ـ واحدة مستأصلة لا يحتاج إلى حملة ثانية، وهي مبالغة في تمنّيهم إزالة المسلمين ومحو آثارهم.[٤]

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) هود: ١١٣.

(٣) السيفي علىاكبر. دليل تحرير الوسيلة (ولاية الفقيه)، ص ٢٣٤.

(٤) سبزواری عبدالاعلی. مواهب الرحمن في تفسير القرآن (سبزواری). م ٩، مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السبزواری، ١٤١٤، ص ٢١١.

مسائل فقهية

بعد كل الكلام السابق، قلتُ في نفسي لابد من الرجوع الى الرسائل العملية لمراجع الدين الذين ينبغي على كل مكلف ان يكون عمله وفق فتوى أحدهم، فوجدتُ الفتاوى الاتية:

قال صاحب الجواهر:

ـ بل [الظاهر] كون الدفاع عن بيضة الإسلام مع هجوم العدوّ ولو في زمن الغيبة من الجهاد.

[بل لا يعتبر فيه إذن الإمام ومنصوبه ولا إذنهما في زمان بسط اليد].[1]

ـ (و كذا) يجب الدفاع على (كلّ من خشي على نفسه مطلقاً أو ماله) أو عرضه أو نفس مؤمنة أو مال محترم أو عرض كذلك[2]

وقال السيد الخوئي:

(مسألة ٥٧)

يجب على كلّ مسلم الدفاع عن الدين الإسلامي إذا كان في معرض الخطر، ولا يعتبر فيه إذن الإمام عليه السلام بلا إشكال ولا خلاف في المسألة.

ولا فرق في ذلك بين أن يكون في زمن الحضور أو الغيبة، وإذا قتل فيه

---

(١) محمدحسن بن باقر. جواهر الكلام (ط. الحديثة). م ١١، مؤسسه دائرة المعارف فقه اسلامى بر مذهب اهل بيت عليهم السلام، ١٤٢١، ص ١٦.

(٢) نفس المصدر.

جرى عليه حكم الشهيد في ساحة الجهاد مع الكفّار، على أساس أنه قتل في سبيل الله الذي قد جعل في صحيحة أبان موضوعا للحكم المزبور، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «الذي يقتل في سبيل الله يدفن في ثيابه ولا يغسّل إلاّ أن يدركه المسلمون وبه رمق ثم يموت» الحديث[١]

وقال الامام الخميني:

(مسألة١): لو غشي بلادَ المسلمين أو ثغورها عدوٌّ يُخشى منه على بيضة الإسلام ومجتمعهم، يجب عليهم الدفاع عنها بأيّة وسيلة ممكنة من بذل الأموال والنفوس.

(مسألة٢): لا يشترط ذلك بحضور الإمام عليه السلام وإذنه، ولا إذن نائبه الخاصّ أو العامّ، فيجب الدفاع على كلّ مكلّف بأيّة وسيلة بلا قيد وشرط.

(مسألة٣): لو خيف على زيادة الاستيلاء على بلاد المسلمين وتوسعة ذلك وأخذ بلادهم أو أسرهم، وجب الدفاع بأيّة وسيلة ممكنة.

(مسألة٤): لو خيف على حوزة الإسلام من الاستيلاء السياسي والاقتصادي، المنجرّ إلى أسرهم السياسي والاقتصادي ووهن الإسلام والمسلمين وضعفهم، يجب الدفاع بالوسائل المشابهة والمقاومات المنفية، كترك شراء أمتعتهم، وترك استعمالها، وترك المراودة والمعاملة معهم مطلقاً.....[٢]

(مسألة٦): لو كانت الروابط السياسية بين الدول الإسلامية والأجانب، موجبةً لاستيلائهم على بلادهم أو نفوسهم أو أموالهم، أو موجبة لأسرهم السياسي، يحرم على رؤساء الدول تلك الروابط والمناسبات، وبطلت

---

(١) الخوئی سید ابوالقاسم. منهاج الصالحين (خویی). م ١، مدينة العلم. آيت الله العظمى الخوئي، ١٤١٠، ص ٣٨٨.

(٢) الخمینی، روح الله، رهبر انقلاب وبنیان گذار جمهوری اسلامی ایران. تحریر الوسیلة. م ١، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخمينی (قدس سره)، ١٣٩٢، ص ٥١٥.

عقودها، ويجب على المسلمين إرشادهم وإلزامهم بتركها ولو بالمقاومات المنفية.

(مسألة ٧): لو خيف على إحدى الدول الإسلامية من هجمة الأجانب، يجب على جميع الدول الإسلامية الدفاع عنها بأيّ وسيلة ممكنة، كما يجب على سائر المسلمين.

(مسألة ٨): لو أوقع إحدى الدول الإسلامية عقد رابطة مخالفة لمصلحة الإسلام والمسلمين، يجب على سائر الدول الجدّ على حلّ عقدها بوسائل سياسية أو اقتصادية، كقطع الروابط السياسية والتجارية معها، ويجب على سائر المسلمين الاهتمام بذلك بما يمكنهم من المقاومات المنفية. وأمثال تلك العقود محرّمة باطلة في شرع الإسلام.

(مسألة ٩): لو صار بعض رؤساء الدول الإسلامية أو وكلاء المجلسين موجباً لنفوذ الأجانب سياسياً أو اقتصادياً على المملكة الإسلامية؛ بحيث يخاف منه على بيضة الإسلام أو على استقلال المملكة ولو في الاستقبال، كان خائناً ومنعزلاً عن مقامه أيّ مقام كان لو فرض أن تصدّيه حقّ، وعلى الأُمّة الإسلامية مجازاته ولو بالمقاومات المنفية كترك عشرته وترك معاملته والإعراض عنه بأيّ وجه ممكن، والاهتمام بإخراجه عن جميع الشؤون السياسية وحرمانه عن الحقوق الاجتماعية.

(مسألة ١٠): لو كان في الروابط التجارية من الدول أو التجّار مع بعض الدول الأجنبيّة أو التجّار الأجنبيّين، مخافة على سوق المسلمين وحياتهم الاقتصادية، وجب تركها وحرمت التجارة المزبورة، وعلى رؤساء المذهب مع خوف ذلك أن يحرّموا متاعهم وتجارتهم حسب اقتضاء الظروف، وعلى الأُمّة الإسلامية متابعتهم، كما يجب على كافّتهم الجدّ في قطعها.[1]

---

(١) الخميني، روح الله، رهبر انقلاب وبنيان گذار جمهورى اسلامى ايران. موسوعة الإمام الخميني قدس سره الشريف. م ٢٢، مؤسسه تنظيم ونشر آثار امام خمينى (س)، ١٤٠٠، ص ٥١٦.

وقال السيد السبزواري:

الجهاد وهو من أعظم أبواب الجنة كما عن نبينا الأعظم ﷺ، ومن أركان الإسلام وهو في زماننا هذا على قسمين:

الجهاد إن ازدحم الكفار على المسلمين بحيث يخاف منه زوال الحق وإثبات الكفر والباطل، فيجب على جميع المسلمين حينئذ مدافعتهم...[١]

وقال الميرزا التبريزي:

(مسألة ٥٧): يجب على كل مسلم الدفاع عن الدين الإسلامي إذا كان في معرض الخطر، ولا يعتبر فيه إذن الإمام عليه السلام بلا إشكال ولا خلاف في المسألة.

و لا فرق في ذلك بين أن يكون في زمن الحضور أو الغيبة...[٢]

وقال السيد محمود الهاشمي الشاهرودي:

مسألة ١٣٣٢: يجب على كل مسلم الدفاع عن الدين الإسلامي إذا كان في معرض الخطر. ولا فرق في ذلك بين أن يكون في زمن الحضور أو الغيبة، إلّا أنّ ادارة الحرب والقتال بحاجة إلى الإذن من ولي أمر المسلمين إذا كان متصدّياً للولاية، وإذا قتل فيه المسلم جرى عليه حكم الشهيد في ساحة الجهاد مع الكفار.[٣]

وقال الشيخ الوحيد الخراساني:

(مسألة ٥٧)

يجب على كلّ مسلم الدفاع عن الدين الإسلامي إذا كان في معرض

---

(١) الموسوى السبزوارى عبدالاعلى. جامع الأحكام الشرعية (سبزوارى). مؤسسة المنار، ص ٢٥٧.

(٢) التبريزى جواد. منهاج الصالحين (تبريزى). م ١، مدين، ١٤٢٦، ص ٤٠٠.

(٣) الهاشمى الشاهرودى محمود. منهاج الصالحين (هاشمى شاهرودى). م ١، مكتب آية الله العظمى السيد محمود الهاشمي، ١٤٣٢، ص ٤٠٧.

الخطر، ولا يعتبر فيه إذن الإمام عليه السلام بلا إشكال ولا خلاف في المسألة.

و لا فرق في ذلك بين أن يكون في زمن الحضور أو الغيبة...[١]

وقال السيد الروحاني:

م ١٥٤٤: يجب على كل مسلم الدفاع عن الدين الاسلامي إذا كان في معرض الخطر[٢] ولا يعتبر فيه إذن الامام عليه السلام بلا إشكال ولا خلاف في المسألة.

ولا فرق في ذلك بين ان يكون في زمن الحضور[٣] أو الغيبة...[٤]

---

(١) الوحيد الخراسانى حسين. منهاج الصالحين (وحيد). م ٢، مدرسة الامام باقر العلوم عليه السلام، ١٣٨٦، ص ٤١١.

(٢) أي إن كان الدين في خطر كما لو كانت الحرب موجهة بسبب الاعتقاد الديني كما كانت الحال في أيام الحروب الصليبية، أو كما هي الحال في الموارد التي يتعرض لها شيعة أهل البيت عليهم السلام للقتل والابادة بسبب انتماءهم المذهبي.

(٣) أي في زمن الامام المعصوم، أو في زمن غيبته.

(٤) الروحانى محمد صادق. منهاج الصالحين (صادق روحانى). م ١، دار بلال للطباعة والنشر، ١٤٣٥، ص ٥٠١.

آليات المقاومة ١

في احدى مطالعاتي لكتاب نهج البلاغة وجدتُ الكثير من المواطن التي ذكر فيها مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليه مسالة الجهاد «الدفاع والمقاومة»، حيث يمكن للمطلع تصنيف الجهاد والمقاومة وكذلك معرفة الآليات المناسبة للمقاومة والجهاد.

حيث يقول سلام الله عليه في وصيته للإمامين سيدا شباب اهل الجنة سلام الله عليهما:

﴿وَ اللّٰهَ اللّٰهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ﴾[1].

فهنا يذكر عدة اصناف للجهاد، وهي:

- الجهاد بالاموال، وهو ما يمكن تسميته اليوم بـ «الجهاد او المقاومة الاقتصادية»

- الجهاد بالانفس، وهو ما يمكن تسميته اليوم بـ «الجهاد او المقاومة العسكرية»

- الجهاد بالالسن، وهو ما يمكن تسميته اليوم بـ «الجهاد او المقاومة الثقافية» و«المقاومة السياسية».

ويقول سلام الله عليه في الحكمة ٣١ عندما سُئل عليه السلام عَنِ الْإِيمَانِ:

فَقَالَ إِنَّ اللّٰهَ عَزَّ وجَلَّ جَعَلَ الْإِيمَانَ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ عَلَى الصَّبْرِ والْيَقِينِ

(١) شريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة (للصبحي صالح) - قم، ط١، ١٤١٤ ق. ص٤٢٢

والْعَدْلِ والْجِهَادِ فَالصَّبْرُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ... **والْجِهَادُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ والصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ وشَنَآنِ الْفَاسِقِينَ**[١] فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظَهْرَ الْمُؤْمِنِ ومَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْفَ الْمُنَافِقِ وأَمِنَ كَيْدَهُ ومَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى الَّذِي عَلَيْهِ ومَنْ شَنِئَ الْفَاسِقِينَ غَضِبَ لِلّٰهِ ومَنْ غَضِبَ لِلّٰهِ غَضِبَ اللّٰهُ لَهُ فَذَلِكَ الْإِيمَانُ ودَعَائِمُهُ وشُعَبُهُ.

فالجهاد من اهم أبواب العبادات، حيث ذكره مولانا امير المؤمنين عليه السلام بوصف ذروة الإسلام، بقوله:

«**إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ...**»[٢]

حيث تحدث الإمام عليه السلام هنا عن أفضل الأعمال التي يؤديها سالكي طريق العبودية ودعاة الحق للتقرب إلىٰ اللّٰه فقال عليه السلام: «إنّ أفضل ما توسل به المتوسلون[٣] إلىٰ اللّٰه سبحانه وتعالىٰ، الإيمان به وبرسوله».

وكأن هذه العبارة إشارة إلىٰ الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[٤]...

فانّ الوسيلة الاولىٰ التي ذكرت هي الإيمان؛ الإيمان باللّٰه والنبي، لأنّ الإيمان أساس الحركة البناءة والفاعلة...

وبعبارة اُخرىٰ فانّ أساس الصالحات والخيرات واعمال البر إنّما يكمن في الإيمان، وبدونه ليس هنالك من حركة نحو الفرائض الإلهية والواجبات

---

(١) الشنآن: البغض. وفي بعض النسخ [شنيء الفاسقين].

(٢) شريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة (للصبحي صالح) خ١١٠ ص١٦٣

(٣) «متوسلون» من مادة «وسيلة» بلوغ الشيء مع الميل والرغبة.

(٤) سورة المائدة/ ٣٥.

الدينية. فالأمر على درجة من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى دليل.

ثم أشار عليه السلام إلىٰ الواجب الثاني: «والجهاد في سبيله، فانه ذروة[١] الإسلام» وللجهاد هنا معنى واسع يشمل الجهاد العلمي والإعلامي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكافة الجهود والمساعي البناءة من أجل النهوض بالأهداف الإسلامية وحتى جهاد النفس، إلىٰ جانب الجهاد العسكري والمقاومة ضد العدو.

والعبارة «ذروة الإسلام» تفيد عدم جدوى الجهاد ما لم يكن عاماً شاملاً. وقد قال الإمام عليه السلام في موضع آخر من نهج البلاغة بشأن فلسفة الأحكام ومنها الجهاد:

«والجهاد عز للإسلام»[٢].

ورغم سعي إعداء الإسلام إلىٰ استغلال مفردة الجهاد الإسلامي واساءة تفسيرها من خلال وصفها بالعنف إلا أنهم يغفلون عن المعنى الواقعي للجهاد والذي يتمثل بالصمود من أجل الحياة ومقاومة العناصر الهدامة؛ وهو الأمر الذي أودع طبيعة كل إنسان.

فالحق أنّ الحياة لتتعذر علينا ولو ضعفت الخلايا ليوم واحد كتلك التي ركبت في بدن الإنسان وتقوم بوظيفتها في الدفاع عنه ومهاجمة المكروبات والجراثيم التي تحاول اختراق البدن، وما المرض الخطير الذي يصطلح عليه بالايدز إلّا اختلال القوى الدفاعية للبدن.

فالمجتمع الذي يتخلى عن الجهاد إنّما يكون كهذا المريض المصاب بالايدز، فيصبح مسرحاً لهجوم أنواع المشاكل والمعضلات.

---

(١) «ذروة» على وزن قبلة أعلى الشيء.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٢٥٢.

وبالطبع أن أولئك الذين صوبوا سهام حقدهم نحو الجهاد الإسلامي، ليعلمون جيداً أنّ التسلط على المسلمين متعذر مادام هذا الأصل المتمثل بالجهاد نابض بالحياة، فلو حذف الجهاد بحجة العنف، لم تعد هنالك من مشكلة أمام تسلط الاعداء.

على كل حال فان ذكر الإمام عليه السلام للجهاد كواجب بعد الإيمان بالله والنبي يفيد موت الدين في حالة غياب هذا الواجب.

فقد ورد في حديث عن علي عليه السلام: «و اللّه ما صلحت دنيا ولا دين إلّا به»[١] [٢].

وقد ذكر صاحب «بهج الصباغة» فصلاً كاملاً تحت عنوان «الفصل الثامن والأربعون في آداب الحرب»[٣]، ذاكراً أقواله وكلماته سلام الله عليه في اغلب جهات الجهاد والحرب، منها:

ـ كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل

«تَزُولُ الْجِبَالُ ولاَ تَزُلْ عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ أَعِرِ اللّهَ جُمْجُمَتَكَ تِدْ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ وغُضَّ بَصَرَكَ واعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ سُبْحَانَهُ.»[٤]

ـ قَالَ عليه السلام: «لِابْنِهِ الْحَسَنِ عليه السلام لاَ تَدْعُوَنَّ إِلَى مُبَارَزَةٍ. وإِنْ دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بَاغٍ والْبَاغِيَ مَصْرُوعٌ.»[٥]

---

(١) وسائل الشيعة ٩/ ١.

(٢) المكارم الشيرازي، ناصر، نفحات الولاية، ج٤ص٣٩٦.

(٣) انظر/ الشوشتري، محمد تقي، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص ٤٧٥، دار أمير كبير للنشر، طهران، ١٣٧٦ الهجري الشمسي.

(٤) شريف الرضى، محمد بن حسين، نهج البلاغة (صبحى صالح)، خ١١الصفحة: ٥٥، مؤسسة دار الهجرة، قم المقدسة، ١٤١٤ الهجري.

(٥) شريف الرضى، محمد بن حسين، نهج البلاغة (صبحى صالح)، الحكمة ٢٣٣الصفحة: ٥٠٩، مؤسسة دار الهجرة، قم المقدسة، ١٤١٤ الهجري

ـ كلام له ع قاله لأصحابه في ساحة الحرب بصفين

«وَ أَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًا فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ»[1]

ـ كلام له ع في حث أصحابه على القتال

«فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ»[2]

(١) شريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة (للصبحي صالح) خ١٢٣ ص١٧٩.

(٢) شريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة (للصبحي صالح) خ١٢٤ ص١٨٠.

آليات المقاومة ٢

بعد ان نقلتُ بعض آليات المقاومة في المجال العسكري المستوحاة من كلام مولانا يعسوب الدين الامام امير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلين.

قلتُ في نفسي، ينبغي ان ابحث في آليات المقاومة في المجالات الأخرى، ولكنني اصطدمت بجدار التطويل والاسهاب.!!

ومع ذلك عدتُ أفكر لإيجاد البديل، فوصلتُ الى لزوم البحث في الأمور والآليات المشتركة او الأساسية للمقاومة الثقافية والسياسية والاقتصادية.... وحتى العسكرية.

وبعد يومين من البحث وجدتُ الآليات الاتية:

١ ـ **التقوى الايمانية.**

٢ ـ **المقاومة في سبيل الله. «القيام لله تعالى».**

٣ ـ **التوكل على الله تعالى.**

٤ ـ **الوعي.**

٥ ـ **البصيرة.**

٦ ـ الثبات على القيم.

٧ ـ **أداء التكليف.**

٨ ـ **الانتظار الإيجابي.**

٩ ـ **الوقوف عند الشبهات.**

ولا يمكنني نقل البحث في كل هذه الاليات، لانه يستلزم التطويل

والاستطراد، فلذا انقل البحث في بعضها، وهو بحث البصيرة.

قال تعالى:

﴿أَ فَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلىٰ تَقْوىٰ مِنَ اَللّٰهِ وَرِضْوانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلىٰ شَفا جُرُفٍ هارٍ فَانْهارَ بِهِ فِي نارِ جَهَنَّمَ﴾. التوبة.. ١٠٩.

ورد في هذه الآية المباركة عدة فوائد يمكن تسميتها بـ «اليات البصيرة» لابد للمجاهد المقاوم ان يتحلى بها حتى يثبت على صراط الجهاد والمقاومة، وهذا ما سنحصل عليه بعد الاطلاع على بعض اقوال المفسرين في هذه الاية المباركة:

ـ **يقول صاحب تفسير الميزان:** «مثلان يمثل بهما بنيان حياة المؤمنين والمنافقين وهو الدين والطريق الذي يجريان عليه فيها فدين المؤمن هو تقوى الله وابتغاء رضوانه عن يقين به، ودين المنافق مبني على التزلزل والشك.

ولذلك أعقبه الله تعالى وزاد في بيانه بقوله: ﴿لاٰ يَزالُ بُنْيانُهُمْ﴾ يعني المنافقين ﴿اَلَّذِي بَنَوْا رِيبَةً﴾ وشكا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لا يتعدى إلى مرحلة اليقين ﴿إِلاّٰ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ فتتلاشى الريبة بتلاشيها ﴿وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ولذلك يضع هؤلاء ويرفع أولئك.»[١]

ـ يقول **المدرسي في تفسيره** «والتقوى هنا تفسّر بما سبق وهو: أن يكون هدف بناء المسجد[٢] النفع لجميع الناس من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، واشاعة قيم الرسالة من الناحية التربويّة وبث روح التحابب والتعاون من الناحية الخلقية والسياسية.»[٣]

ـ يقول **صاحب تفسير الأمثل** «إن التشبيه الوارد أعلاه يعطي صورة في منتهى الوضوح عن عدم ثبات أعمال المنافقين وتزلزلها، وفي المقابل

---

(١) طباطبايى محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. م ٩، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٥٢، ص ٣٩١.

(٢) لقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اِتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرٰاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ اَلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصٰاداً لِمَنْ حٰارَبَ اَللّٰهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنٰا إِلاّٰ اَلْحُسْنىٰ وَاللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ﴾ (١٠٧) التوبة.

(٣) مدرسى محمدتقى. من هدى القرآن. م ٤، دار محبي الحسين عليه السلام، ١٤١٩، ص ٢٧٩.

استحكام ودوام أعمال المؤمنين ونشاطاتهم وبرامجهم، فهو يشبه المؤمنين بمن أراد أن يبني بناء، فإنّه ينتخب الأرض الجيدة القوية التي تتحمل البناء، ومختار من مواد البناء الأولية ما كان جيدا.

أمّا المنافقون فإنّه يشبّههم بمن يبني بيته على حافة النهر ـ ومثل هذه الأرض جوفاء ـ لأن جريان الماء قد نخرها، وبالتالي فهي عرضة للسقوط في أي لحظة، وكذلك النفاق، فإنّ ظاهره حسن لكنّه عديم المحتوى كالبناية الجميلة ذات الأساس النخر.

إنّ هذه البناية يمكن أن تنهار في آية لحظة، ومذهب أهل النفاق أيضا يمكن أن يظهر واقع أتباعه وباطنهم، وبالتالي فضيحتهم وخزيهم.

إنّ التقوى والسعي في مرضاة الله تبارك وتعالى يعني التعامل مع الواقع، والسير وفقا لقوانين الخلقة وهي بدون شك عامل البقاء والثبات.

أمّا النفاق فإنّه يعني الانفصال عن الواقع والابتعاد عن قوانين الوجود، وهذا بلا شك هو عامل الزوال والفناء.»[1]

فيتحصل مما تقدم:

١ـ المسلم هو الذي يعرف المنافق وأساليب النفاق في كل زمان، وفي كل مكان، وبأي لباس تلبس، وبأي صورة يظهر بها، حتى ولو كانت صورة الدين والمذهب، أو لباس مناصرة الحق والقرآن والمساجد.

إنّ الاستفادة من مذهب ضد مذهب آخر ليس شيئا جديدا، بل هو طريق الاستعمار وأسلوبه على الدوام، فإنّ وسيلة الجبارين والمنافقين وأسلوبهم في العمل هو الوقوف على رغبة الناس في مسألة ما، واستغلال تلك الرغبة في سبيل إغفالهم وبالتالي استعمارهم، ويستعينون بقدرات مذهب ما في ضرب وهدم مذهب آخر إن استدعى الأمر ذلك.

---

(١) مكارم شيرازى ناصر. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. م ٦، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٧٩، ص ٢٢٢.

و أساسا فإنّ جعل الأنبياء المزورين والمذاهب الباطلة، هو تحوير الميول المذهبية للناس عن هذا الطريق وصبّها في القنوات التي يريدونها ويديرونها.

و من البديهي أنّ محاربة الإسلام بصورة علنية في محيط كمحيط المدينة، وذلك في عصر النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم، ومع ذلك النفوذ الخارق للإسلام والقرآن، أمر غير ممكن، بل يجب إلباس الكفر لباس الدين، وتغليف الباطل بغلاف الحق لجذب البسطاء والسذج من الناس.

٢ـ إلا أنّ **المسلم الحقيقي ليس سطحيا إلى تلك الدرجة بحيث يخدع بهذه الظواهر، بل إنّه يدقق في العوامل والأيادي التي وضعت هذه البرامج**، ويحقق القرائن الأخرى التي لها علاقة البرامج وماهيتها، وبذلك سيرى الصورة الباطنية للأفراد المختبئة خلف الصورة الظاهرية.

٣ـ **المسلم ليس بذلك الفرد الذي يقبل كل دعوة تصدر من أي فم بمجرّد موافقتها الظاهرية للحق**، ويلبي تلك الدعوة.

٤ـ **المسلم ليس ذلك الشخص الذي يصافح كل يد تمد إليه، ويؤيد ويدعم كل حركة يشاهدها بمجرّد رفعها شعارا دينيا**، أو يتعهد بالانضمام تحت أي لواء يرفع باسم المذاهب والدين، أو ينجذب إلى كل بناء يشيد باسم الدين.

٥ـ **المسلم يجب أن يكون حذرا، واعيا، واقعيا، بعيد النظر، ومن أهل التحليل والتحقيق في كل المسائل الاجتماعية.**

٦ـ **المسلم يعرف المتمردين العصاة في لباس الملائكة والوداعة، ويميز الذئاب المتلبسة بلباس الحراس والرعاة، ويعد نفسه لمحاربة الأعداء الظاهرين بصورة الأصدقاء.**[1]

---

(١) مكارم شيرازى ناصر. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. م ٦، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ١٣٧٩، ص ٢٢٤.

آليات المقاومة ٣

الانتظار

مفهوم الانتظار:

يطلق «الانتظار» أو «التطلع إلى المستقبل» على الإنسان الذي يسأم الوضع القائم، ويسعى إلى وضع أفضل. على سبيل المثال، المريض الذي ينتظر الشفاء، أو الأب الذي ينتظر قدوم ولده من السفر، إنّما يئنان من المرض والفراق، ويسعيان إلى نيل وضع أحسن...

وعليه، فإنّ مسألة انتظار حكومة الحقّ والعدل وقيام المصلح العالمي «المهدي» تتركّب في الواقع من عنصرين: عنصر «النفي» وعنصر «الإثبات»

- عنصر النفي هو عدم التكيف مع الوضع الموجود،
- وعنصر الإثبات هو السعي إلى الوضع الأفضل.

الانتظار يعني التأهب التام:

كيفية الانتظار تتناسب دائمًا مع الهدف الذي يقف وراءه، فانتظار قدوم مسافر عادي، وانتظار عودة صديق عزيز، وانتظار حلول فصل جني الثمار من الأشجار، وانتظار حلول فصل افتتاح المدارس.

فكلّ نوع من هذه الانتظارات ممزوج بنوع من الاستعداد.

فلا بدّ من إعداد الدار في أحدها وتوفير وسائل الضيافة، بينما يستلزم

الآخر إعداد المنجل والحاصودة، كما يلزم الأخير القلم والكتاب والقرطاس وثياب المدرسة، وما شاكل ذلك. ولكم أن تتصوروا الآن ذلك الذي ينتظر قيام المصلح العالمي، فهو ينتظر في الواقع نهضة وثورة تعدّ أوسع وأعظم جميع النهضات البشرية طيلة التاريخ. النهضة التي تختلف عمّا سبقها من النهضات الإصلاحية، فهي لا تنطوي على أية صبغة إقليمية، كما لا تختصّ بأي جانب من جوانب الحياة المختلفة؛ بل إضافة إلى كونها عامة، فهي تشمل كافة جوانب الحياة البشرية، فهي نهضة سياسية وثقافية واقتصادية وأخلاقية.

فهل ينطوي هذا الانتظار على فكرة التخدير كما يزعم أصحاب المدارس المادية، أم إنّه انتظار بناء وإصلاحي يدعو إلى الانطلاق والحركة؟

الجواب:

ذكرنا سابقًا أنّ «الانتظار» يتألّف من عنصرين: «نفي» و«إثبات»، الامتعاض من الوضع الموجود والرغبة في وضع أفضل... ويمكن جريانهما في المستويين «الفردي والاجتماعي»

١ـ التزكية الفردية

إنّ حكومة المهدي العالمية تتطلّب قبل كلّ شيء العناصر الإنسانية على صعيد القيم والمثل؛ لتتمكن من النهوض بأعباء الإصلاحات الكبيرة في العالم؛ وهذا ما يقتضي بادئ الأمر الارتقاء بالمستوى الفكري والمعرفي، والاستعداد الروحي والفكري بغية التعاضد لتطبيق ذلك المشروع العظيم. فقصر النظر وضيق الأُفق والضحالة الفكرية والحسد والفرقة، وبالتالي أشكال النفاق كافّة والتشتت لا تنسجم مع مكانة المنتظر الحقيقي.

ولعلّ القضية المهمّة تكمن هنا في أنّ المنتظر الواقعي لذلك المشروع العملاق لا يمكنه أن يتخذ موقفًا متفرجًا، فهو جندي باسل في جبهة الإصلاح.

فالإيمان بنتائج النهضة ومصيرها لا تسمح له بأن يكون في الجبهة المقابلة، كما أنّ التحاقه بجبهة الإصلاح يتطلب منه قدرًا كافيًا من الأعمال الصالحة والانطواء على الشجاعة واليقظة التامة.

فكيف لي إن كنت ظالمًا متمردًا أن أنتظر نهضة تستهدفني؟

وإن كنت فاسدًا ومنحرفًا فأنّى لي بانتظار قيام نظام لا مكان فيه لافراد الفاسدين والمنحرفين؟ أولا يكفي هذا الانتظار في تنقية روحي وتهذيب فكري من الزلل والدنس؟ والجندي الذي يتطلع إلى جهاد التحرير إنّما يعيش قطعًا حالة التأهب القصوى، والسلام الذي ينبغي له حمله في هذه المعركة إنّما يهدف إلى إصلاح الأسلحة السائدة، ويقوم ببناء المواضع المحكمة، كما يرفع معنويات رفاقه ويفجّر في نفوسهم عشق المواجهة، وإلاّ فلا يسعه الانتظار. وإن زعم ذلك فهو كاذب، فانتظار المصلح العالمي يعني التأهب الفكري والأخلاقي والمادي والمعنوي التامّ من أجل إصلاح العالم بأجمعه. ولك أن تقف على أهميّة مثل هذا التأهب. فإصلاح كلّ ما على الأرض ووضع حدّ للظلم ليس بالعمل الهيّن، والاستعداد لهذا الهدف العظيم ينبغي أن يتناسب معه، أي لا بدّ أن يناسبه سعة وعمقًا.

وعليه، فإنّ تحقيق مثل هذه النهضة يتطلّب رجال أشدّاء من ذوي القوة والطهر وسعة الأُفق وبعد النظر والاستعداد التام، كما أنّ التزكية ال زمة لتحقق هذا الهدف تستلزم توظيف وتفعيل البرامج الأخلاقية والفكرية والاجتماعية، وهذا هو معنى الانتظار الواقعي، فهل يسع فرد أن يزعم بأنّ هذا الانتظار ليس بنّاءً؟!

٢ـ التكافل الاجتماعي

إلى جانب الإصلاح الذاتي، فإنّ وظيفة المنتظر الحقيقي تحتّم عليه

إصلاح الآخرين؛ ذلك لأنّ المشروع العظيم والثقيل الذي ينتظره ليس بمشروع فردي، بل مشروع يختزن عناصر التغيير كافّة.

وعليه، ينبغي أن تتمّ الأنشطة والفعاليات فيه بصيغة جماعية، ولا بدّ أن تتظافر جميع الجهود والمساعي، وأن يتناسب عمقها وشموليتها مع عظمة مشروع النهضة العالمية المنتظرة.

ليس لأي فرد أن يتجاهل الآخرين في ميدان المواجهة الشاملة، وعليه أن يسعى لمعالجة نقاط الضعف أينما وجدت، وتقوية مواطن الضعف، ذلك لعدم إمكانية تطبيق ذلك المشروع دون المساهمة الفاعلة للجميع.

وعليه، فإن المنتظر الحقيقي يشعر بتكليفه في السعي إلى إصلاح الآخرين فضلا عن إصلاح نفسه.

٣ـ عدم الانصهار في بوتقة الفساد

إن عمّ الفساد فإنّه يشمل أكثريّة الناس، وهنا يشعر الطاهرون من الأفراد بأنّهم بلغوا موضعًا مغلقًا، وهو الموضع الذي يفرزه اليأس من الإصلاح. وربّما يعتقد البعض بأنّ الفرصة قد مضت ولم يعد هنالك من أمل في الإصلاح، ومن العبث بذل الجهد في هذا المجال. ومن شأن هذا اليأس والإحباط أن يدفع بهؤلاء الأفراد تدريجيًا إلى الفساد والانسجام مع الوسط الملوّث؛ بحيث لا يسعه الإبقاء على صلاحه تجاه الأكثرية الفاسدة، وبالتالي فإنّ عدم الانسجام والجماعة يوجب فضيحته.

وبالطبع، فإنّ العنصر الوحيد الذي يبعث فيهم روح الأمل، ويدعوهم إلى المواجهة وضبط النفس، ويحول دون انصهارهم في بوتقة الفساد، يتمثل بالأمل في الإصلاح النهائي. وهنا طبعًا يشعرون بضرورة السعي لحفظ صلاحهم وصلاح الآخرين. ولعلّ هذا هو السرّ في عدّ اليأس من رحمة الله

من الذنوب الكبيرة ومن أخبث الكبائر؛ حيث لا يرى الفرد الذي يشعر باليأس من ضرورة لأن يتدارك ما فرط منه، أو على الأقل الكفّ عن مواصلة معاصيه، ومنطقه في ذلك: «لقد أوغلت في المعصية وفاتني الندم والتوبة ولم تعد أمامي سوى نار جهنّم، فهل هناك شيء أخشاه كي أصدّ عن هذا الطريق.»

أمّا إن فتحت له نافذة الأمل، فيشعر بتحول في حياته يدعوه إلى الأمل بعفو الله ورحمته، والأمل بتغيير الوضع القائم؛ الأمر الذي يعدوه إلى الكفّ عن المعصية والعودة إلى الذات والطريق القويم.

ومن هنا يعدّ الأمل من العناصر التربوية المهمة في معالجة أوضاع الفرد الفاسد؛ كما لا يسع الفرد الصالح حفظ نفسه في الوسط الفاسد دون الشعور بهذا الأمل.

والنتيجة هي أنّ انتظار ظهور المصلح مدعاة لمضاعفة الأمل بظهوره مهما اتسعت رقعة الفساد، والذي يلعب دورًا مهمًا في بلورة العقيدة والاندفاع إلى العمل، إلى جانب تحصين المنتظر من أمواج الفساد.

وهنا يشعرون بقرب بلوغ الهدف، فيزداد سعيهم، ويتواصل عزمهم في الوقوف بوجه الفساد والانحراف.

ونستنتج من الأبحاث السابقة أنّ الانتظار الممسوخ والمشوّه هو الذي ينطوي على عنصر التخدير؛ حيث حرفه بعض المخالفين، بينما مسخه بعض الموافقين. أمّا إن طبق في المجتمع بصورته الحقيقية الناصعة فهو عامل مهم على مستوى الأمل والحركة والتربية والتزكية.

ولعلّ من بين الأدلة الواضحة التي تؤيد هذا الموضوع ما روي عن المعصوم عليه السلام بشأن الآية الشريفة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ أنّه قال ﴿مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الارض﴾ هو القائم وأصحابه.

وجاء في رواية أُخرى «نزلت في المهدي»، والحال قد وصف المهدي وأصحابه في هذه الآية بهذا الوصف: ﴿الَّذينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَٰتِ﴾.

وعليه، يتعذر تحقق هذه النهضة العالمية دون إيمان راسخ يطرد كلّ ضعف وعجز وهوان، ودون عمل صالح يمهد السبيل من أجل إصلاح العالم، وينبغي لمن ينتظر أن يسعى لأن يرفع من مستوى معرفته وإيمانه وينشط في إصلاح نفسه وأعماله. وهؤلاء فقط من يسعهم التبشير بتلك الحياة في ظلّ حكومته، لا الظلمة والفجرة، ولا أُولئك البعيدون عن الإيمان والعمل الصالح، ولا الأفراد الجبناء الذين جعلهم ضعف إيمانهم يخشون خيالهم. ولا الضعفاء والكسالى والعاطلون الذين قبعوا هنا وهناك، يتفرجون على الوسط الفاسد دون أن ينبسوا ببنت شفة، ولم يكلفوا أنفسهم عناء أية حركة ومقاومة.

نعم هذا هو معنى الانتظار الحقيقي!

سؤال مهم

هل الإيمان بمثل هذا الظهور يجعل الإنسان غاف عن أوضاعه القائمة ومستسلمًا للظروف والشرائط كافّة؟

أم إنّ هذه العقيدة تستبطن الدعوة إلى القيام وبناء الفرد والمجتمع؟

هل تدعو إلى الحركة أم السكون؟

هل تؤدي إلى تحمل المسؤولية أم الهروب منها؟

بالتالي هي أفيون أم منبه؟

يبدو من الضروري الالتفات إلى نقطة مهمة قبل الاجابة عن هذه الأسئلة، وهي أنّ أعظم المقررات وأسمى المفاهيم إن وقعت بأيدي أفراد ليسوا

بأكفاء أو انتهازيين فلربما يمسخونها إلى درجة؛ بحيث تعطي نتائج مخالفة لأهدافها الأصلية، وتتحرك خلاف مسيرتها المرسومة، وهنالك الكثير من هذه النماذج، ومسألة الانتظار كما سنرى واحدة من هذه النماذج.

على كلّ حال، وبغية التحرز من الخطأ في الحسابات في مثل هذه المباحث، لا بدّ من انتهال الماء من عينه الصافية بعيدًا عن المياه الملوّثة التي ربّما تفسده. ومن هنا، فإنّنا نتجه في بحث الانتظار صوب المتون الإسلامية الأصيلة، ونسلّط الضوء على مختلف الروايات الواردة بشأن مسألة «الانتظار»؛ لنقف على طبيعة الهدف الرئيسي. نسلط الضوء هنا على هذه الروايات:

ـ سئل الإمام الصادق عليه السلام عمن يقول بولاية الأئمّة وينتظر حكومتهم الحقّ ويموت على ذلك؟ قال الإمام ع: هو بمنزلة من كان مع القائم في فسطاطه ـ ثمّ سكت هنيئة ـ ثمّ قال: هو كمن كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقد ورد هذا المضمون في عدة روايات بعبارات مختلفة، ففي بعضها «بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله»، وفي البعض الآخر «كمن قارع مع رسول الله صلى الله عليه وآله بسيفه». وفي رواية «بمنزلة من كان قاعدًا تحت لواء القائم». وفي رواية أُخرى «بمنزلة المجاهد بين يدي رسول الله». وفي رواية «بمنزلة من استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

فالتشبيهات الواردة في هذه الروايات بشأن انتظار ظهور المهدي عجل الله فرجه عميقة المعنى، وتكشف عن هذه الحقيقة وهي أنّ هنالك نوعًا من الارتباط والتشابه بين مسألة «الانتظار» و«الجهاد» ومواجهة الأعداء.

كما صرّحت بعض الروايات بأنّ مثل هذا الانتظار يعدّ أعظم عبادة. حيث ورد مثل هذا المضمون في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وروايات الإمام علي عليه السلام فقد قال صلى الله عليه وآله «أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج من الله عزَّ وجلَّ.»

كما ورد عنه ﷺ أنّه قال: «أفضل العبادة انتظار الفرج.» ويكشف هذا الحديث عن أهميّة الانتظار، سواء الفرج بمعناه الواسع والشامل، أو مفهومه الخاصّ، أي انتظار ظهور المصلح العالمي.

وتشير كلّ هذه العبارات إلى أنّ انتظار تلك النهضة إنّما اقتران على الدوام بجهاد واسع ومقاومة تامة.

ولو استند الاعتقاد وانتظار حكومة العدل للمهدي ﷺ إلى قاعدة رصينة لأفرز نوعين من الأعمال العظيمة؛ لأنّ الاعتقاد السطحي قد لا يتجاوز أثره اللسان، بينما الاعتقاد العملي يقتضي دائمًا الآثار العملية. والنوعان هما: الامتناع عن أشكال التعاون كافّة، والركون إلى عوامل الظلم والفساد إلى درجة مقاومتها من جانب، ومن جانب آخر تزكية النفس وتوظيف الاستعدادات الجسمية والروحية والمادية والمعنوية بغية تبلور تلك الحكومة العالمية.

ولو تأملنا ذلك، لرأينا ك العملين بناءً ومدعاة للحركة والمعرفة والوعي واليقظة.

وهكذا يفهم معنى الروايات الواردة في فضل المنتظرين من خلال الالتفات إلى مفهوم الانتظار الواقعي.

كما نفهم بعض الروايات التي صورت المنتظر الحقيقي وكأنّه في فسطاط المهدي أو تحت لوائه، أو كمن جاهد بين يدي رسول الله ﷺ لى الله عليه واله بسيفه. أوليست هذه المراحل المختلفة والدرجات المتفاوتة في الجهاد من أجل تحقيق العدل والحقّ إنّما تتناسب مع استعدادات الأفراد ودرجات انتظارهم؟ أي كما يتفاوت مقدار تضحية المجاهدين في سبيل الله ودورهم، فإنّ انتظارهم واستعدادهم هو الآخر مختلف وعلى درجات.

طبعًا كلاهما جهاد ويحتاج إلى استعداد وتزكية. فالفرد الذي يكون

في فسطاط زعيم تلك الحكومة، والذي يمثل مركز القيادة والإمرة العسكرية لجميع العالم، لا يمكن أن يكون شخصًا غافلا وجاهلا، فليس كلّ فرد يلج ذلك الفساط، سوى من استعدّ له.

كما ينبغي أن ينطوي من حمل السلاح وقاتل إلى جانب ذلك الزعيم كلّ من يقف بوجه حكومة العدل والسلام، على استعداد روحي غزير وتأهب فكري وعسكري كبير.

انه من سليمان ١

لكي أقف على اهم ما قام به عقل المقاومة الأول، الشهيد الكبير والخالد الحاج قاسم سليماني رضوان الله عليه، اخذتُ اراجع وصيته التي خطها بيده المباركة، فعملتُ على جعلها بشكل مقاطع موضوعية حتى يستفاد منها الشباب، فكان:

الاول: «**أنه من سليمان**»

قال رضوان الله عليه:

«إخوتي وأخواتي المجاهدين في هذا العالم، يا من أعرتم الله جماجمكم وحملتم الأرواح على الأكفّ ووفدتم إلى سوق العشق من أجل البيع، فلتلتفتوا: إن الجمهوريّة الإسلاميّة قطب الإسلام والتشيّع. مقرّ الحسين بن علي، اليوم، هو إيران. فلتعلموا أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة هي الحرم، وسوف تبقى سائر الحُرم إنْ بقي هذا الحرم. إذا قضى العدوّ على هذا الحرم فلن يبقى هنالك من حرم، لا الحرم الإبراهيمي ولا الحرم المحمّدي.

إخوتي وأخواتي! العالم الإسلامي بحاجة دائماً إلى قائد؛ قائد متّصل بالمعصوم ومنصّب بصورة شرعيّة وفقهيّة. تعلمون جيّداً أنّ أنزه عالم دين والذي هزّ أركان العالم وأحيى الإسلام، أعني إمامنا الخميني العظيم الجليل، جعل ولاية الفقيه الوصفة المنقذة الوحيدة لهذه الأمّة؛ لذلك عليكم أنتم الشّيعة الذين تعتقدون بها اعتقاداً دينياً، وأنتم السنّة الذين تعتقدون بها اعتقاداً عقليّاً، أن لا تتخلّوا عن خيمة الولاية وأن تتمسّكوا بها من أجل إنقاذ

الإسلام بعيداً عن أيّ نوع من أنواع الخلاف. الخيمة هذه هي خيمة رسول الله ﷺ. أساس معاداة العالم للجمهوريّة الإسلاميّة يهدف إلى إحراق وتدمير هذه الخيمة. فلتطوفوا حولها.

والله والله والله لو أصاب هذه الخيمة أيّ مكروه، فلن يبقى لا بيت الله الحرام ولا المدينة ولا حرم رسول الله، ولا النّجف، ولا كربلاء، ولا الكاظمان، ولا سامراء، ولا مشهد؛ وسوف يلحق الضّرر بالقرآن.»

خلاصة المقطع: كلام موجّه لإخوتي وأخواتي المجاهدين...

قال رضوان الله عليه:

«إخوتي وأخواتي المجاهدين في هذا العالم، يا من أعرتم الله جماجمكم وحملتم الأرواح على الأكف ووفدتم إلى سوق العشق من أجل البيع.....

العالم الإسلامي بحاجة دائما إلى قائد، قائد متصل بالمعصوم ومنصّب بصورة شرعية وفقهية...»

في هذا المقطع من الوصية السليمانية يبين القائد عدة محاور لإخوانه المجاهدين:

الاول: حقيقة المجاهدين.

بما أن كل عمل له صورة ظاهرية وأخرى حقيقة جوهرية، فالجهاد حقيقته عملية بيع وتبادل عين بأخرى، تجري بين الحق تعالى من جانب، ومن جانب آخر يتمثل في المجاهد نفسه، المتصف بأوصاف قد ذكرها مولانا امير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد بن الحنفية

«أَعِرِ اللّٰهَ جُمجُمَتَكَ، تِدْ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ، إِرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وَغُضَّ بَصَرَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ.»

الثاني: مكانة الجمهورية الإسلامية

حيث يبين سليماني العشق رضوان الله عليه مكانة الجمهورية الإسلامية بأنها قطب الإسلام بصورة عامة والتشيع بصورة خاصة، بل هي تمثل مقر الحسين بن علي عليهما السلام في يومنا الحالي، وأنها هي مركز الحُرم، فإذا بقيى فإن سائر الحرم تبقى، وإذا قضى العدو على هذا الحرم فلن يبقى هنالك حرم ثانٍ.

الثالث: ضرورة وجود القائد

أن المجتمع البشري بمختلف اصنافه وجميع مراحل ثقافته، ونظرياته التي آمن بها على مر العصور، يحكم بضرورة وجود قائد وحاكم ورئيس، وبما أن المجتمع الإسلامي لا يشذ عن بقية أصناف المجتمع فهو يؤمن بوجوب وجود حاكم ورئيس شرعي وفق نظرية التوحيد في الحاكمية والحاكم المأذون شرعا عن طريق الاتصال بالمعصوم.

والذي رسخها في عصرنا الحالي إمامنا العظيم السيد روح الله الخميني رضوان الله عليه، الذي يعرفه الجميع بأنه «أنزه عالم دين والذي هز أركان العالم.. وجعل ولاية الفقيه الوصفة المنقذة الوحيدة لهذه الأمة...»

الرابع: ضرورة الدفاع

بوجوب الإيمان والاعتقاد بنظرية التوحيد في الحاكمية، توجد حكومة شرعية، تمثل الخيمة الشرعية التي يستضل بها المسلمون جميعا، بل تعتبر خيمة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

وبهذا تكون في معرض معاداة المستكبرين والطغاة ويهدفون إلى إحراق وتدمير هذه الخيمة، مما يوجوب الدفاع عن خيمة المسلمين، فلو تعرضت لمكروه ـ لا سامح الله ـ فلن يبقى أي مكان مقدس بل يلحق الضرر بالقرآن الكريم.

انه من سليمان ٢

الثاني:

قال رضوان الله عليه:

«إخواني وأخواتي الإيرانيّين الأعزّاء، أيّها الشّعب الشّامخ والمشرّف الذي ترخص روحي وأرواح أمثالي آلاف المرّات لكم، كما أنّكم قدّمتم مئات آلاف الأرواح لأجل إيران والإسلام؛ فلتحافظوا على المبادئ. المبادئ تعني الوليّ الفقيه، خاصّة هذا الحكيم، المظلوم، الورع في الدّين، والفقه، والعرفان والمعرفة؛ فلتجعلوا الخامنئي العزيز عزيز أرواحكم، ولتنظروا إلى حرمته كحرمة المقدّسات.

أيها الإخوة والأخوات، أيها الآباء والأمهات، يا أعزائي!

الجمهوريّة الإسلاميّة تطوي اليوم أكثر مراحلها شموخًا. فلتعلموا أن نظرة العدوّ إليكم ليست مهمّة. أيّ نظرة كانت للعدوّ تجاه نبيّكم وكيف عامل [الأعداء] رسول الله وأبناءه، وأيّ تهمٍ وجّهوها إليه، وكيف عاملوا أبناءه الأزكياء؟ لا يؤدينّ ذمّ العدوّ وشماتته وضغوطاته إلى تفرقتكم.

اعلموا ـ وأنتم تعلمون ـ أنّ أهمّ إنجازٍ مميّز للإمام الخميني العزيز كان أنّه جعل في بادئ الأمر الإسلام ركيزة لإيران، ومن ثمّ جعل إيران في خدمة الإسلام. لو لم يكن الإسلام ولو لم تكن تلك الروح الإسلاميّة سائدة في هذا الشّعب، لنهش صدّام هذا البلد كذّئب مفترس؛ ولقامت أمريكا بالأمر نفسه ككلب مسعور، لكنّ ميزة الإمام الخميني أنه جعل الإسلام ركيزة

ورصيداً؛ وجعل عاشوراء ومحرّم، وصفر والأيام الفاطميّة سنداً لهذا الشّعب. لقد أشعل الثورات داخل هذه الثّورة. ولهذا جعل الآلاف من المضحّين في كلّ مرحلة من أنفسهم دروعًا تحميكم وتحمي الشعب الإيرانيّ وتراب الأراضي الإيرانيّة، والإسلام، وجعلوا أعتى القوى الماديّة ترضخ ذليلة أمامهم. أعزّائي، إياكم أن تختلفوا في المبادئ.

الشهداء محور عزّتنا وكرامتنا جميعًا؛ وهذا الأمر لا ينحصر بيومنا هذا فقط، بل إنّ هؤلاء اتّصلوا منذ الأزل ببحار الله جلّ وعلا الشاسعة. فلتنظروا إليهم بأعينكم وقلوبكم وألسنتكم بإكبار وإجلال كما هم حقاً. عرّفوا أبناءكم على أسمائهم وصورهم، وانظروا إلى أبناء الشهداء الذين هم أيتامكم جميعاً بعين الأدب والاحترام. فلتنظروا بعين الاحترام إلى زوجات الشهداء وآبائهم وأمّهاتهم، وكما تعاملون أبناءكم بالصّفح والتغاضي، عاملوا هؤلاء بعناية واهتمام خاصين في غياب آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم وأبنائهم.

عليكم باحترام قواتكم المسلّحة التي يقودها الوليّ الفقيه اليوم، وذلك من أجل الدفاع عن أنفسكم، ومذهبكم، وعن الإسلام والبلاد، وعلى القوات المسلّحة أن تدافع عن الشّعب والأعراض والأرض كدفاعها عن منازلها، وأن تعامل الشعب بأدب واحترام، وأن تكون بالنسبة للشعب كما قال أمير المؤمنين ومولى المتّقين مصدر عزة، وقلعة وملجأ للمستضعفين والناس، وزينة للبلاد.

خطابي لأهالي كرمان الأعزّاء ...

أخاطب أهالي كرمان الأعزّاء أيضاً بنقطة؛ الأهالي المحبوبين الذين قدّموا خلال الأعوام الثمانية من الدفاع المقدس أسمى التضحيات وبذلوا للإسلام قادة ومجاهدين رفيعي المنزلة. أنا خجلٌ منهم دائماً. لقد وثقوا بي لثمانية أعوام من أجل الإسلام؛ وأرسلوا أبناءهم إلى المقاتل والحروب القاسية مثل عمليات كربلاء ٥، ووالفجر ٨، وطريق القدس، والفتح المبين،

وبيت المقدس و... وأسّسوا فرقة كبيرة قيّمة أسموها «ثار الله» محبّة بالإمام المظلوم الحسين بن عليّ عليه السلام، ولطالما كانت هذه الفرقة كالسّيف الصّارم، أدخلت الفرح والسّرور على قلوب شعبنا والمسلمين مرّات عديدة ومسحت عن وجوههم الحزن والآلام.

أعزّائي! لقد رحلت عنكم اليوم حسب ما اقتضته المقادير الإلهيّة. أنا أحبّكم أكثر من أبي وأمي وأبنائي وإخوتي وأخواتي، لأنّي قضيت معكم أوقاتاً أكثر منهم؛ وبالرغم من أنّي كنت فلذة كبدهم وكانوا هم قطعة من وجودي، إلّا أنّهم أذعنوا بأن أنذر وجودي لأجل وجودكم ولأجل الشعب الإيراني.

أتمنّى أن تبقى كرمان دائماً وحتّى النهاية مع الولاية. هذه الولاية هي ولاية عليّ بن أبي طالب وخيمتها خيمة الحسين بن فاطمة، فطوفوا حولها. إنني أخاطبكم جميعاً. تعلمون أنّني كنت أهتمّ في حياتي بالإنسانيّة والعواطف والفطرة أكثر من الأطياف السياسيّة. وهذا خطابي لكم جميعاً حيث أنّكم تعتبرونني فرداً منكم وأخاً لكم وواحداً من أبنائكم.

أوصيكم بأن لا تتركوا الإسلام وحيداً في هذه البرهة من الزمن وهو متجلٍّ في الثورة الإسلاميّة والجمهوريّة الإسلاميّة. الدفاع عن الإسلام يحتاج ذكاءً واهتماماً خاصين. وأينما طُرحت في القضايا السياسيّة نقاشات حول الإسلام، والجمهوريّة الإسلاميّة، والمقدّسات وولاية الفقيه، [فلتعلموا] أنّ هذه هي صبغة الله؛ فلتقدّموا صبغة الله على أيّ صبغة أخرى.»

الخلاصة: مبادئ فرقة «الجمجمة للّه»

من خلال كلام سليماني العشق رضوان الله عليه «يامن أعرتم الله جماجمكم» نحكم بوجود فرقة عسكرية للمجاهدين اتصفوا بهذه الصفة، وهذه الفرقة لها عدة مبادئ وركائز تعمل عليها، وهي:

المبدأ الأول: خدمة الإسلام

فهذه الفرقة بقائدها وافرادها قد تعلموا خدمة الإسلام وجعلوا من أنفسهم دروعا تحمي المستضعفين من ظلم الطواغيت والمستكبرين أمريكا واذنابهم في المنطقة ـ صدام وغيره ـ الذين عملوا على نهب البلاد الإسلامية ونهشها كالذئب المفترس.

ولكن بهذا المبدأ جعلت هذه الفرقة الصالحة القوى المادية ترضخ ذليلا أمامهم.

المبدأ الثاني: حق الشهداء

الشهداء محور عزتنا وكرامتنا جميعا، فينبغي على أفراد المجتمع الإسلامي أن ينظروا لهم بإكبار وإجلال بقدر ما يستحقون، من خلال تعريفهم للناس ـ كبيرهم وصغيرهم ـ.

المبدأ الثالث: القوات المسلحة

وهنا يذكرنا سليماني العشق رضوان الله عليه بضرورة تبادل القوات المسلحة بالاحترام والتواد والتقدير، لا سيما انها تستحق كل الاحترام لأنها تحت قيادة وحكومة ماذونة من قبل الحق تعالى وفق نظرية التوحيد في الحاكمية، إضافة إلى أنها تدافع عن المجتمع بصورة عامة، بل تدافع عن المذهب والدين والبلاد.

وفي قبال ذلك يأتي دور القوات المسلحة، حيث ينبغي أن تعرف أن دفاعها عن أفراد المجتمع والأرض والأعراض، واجب فطري وعقلي وشرعي.

وكذلك ينبغي التعامل بكل أدب واحترام مع الآخرين، فتكون القوات المسلحة، مصدر عزة، وقلعة وملجا.

انه من سليمان ٣

الثالث:

قال رضوان الله عليه:

«أرغب في مخاطبة السياسيّين في البلاد بملاحظة مقتضبة سواء كانوا من الذين يطلقون على أنفسهم اسم الإصلاحيّين أو الذين يسمّون أنفسهم بالأصوليّين. ما كنت أتألّم لأجله دائمًا هو أنّنا بشكل عام ننسى الله والقرآن والقيم في مرحلتين، بل نضحّي بكلّ هذه الأمور. أعزّائي، مهما تنافستم وتجادلتم، فلتعلموا أنّه عندما تؤدّي تصرّفاتكم وتصريحاتكم أو مناظراتكم إلى إضعاف الدين والثورة بنحو من الأنحاء، فسوف تكونون من المغضوب عليهم من قبل نبيّ الإسلام العظيم ﷺ وشهداء هذا النهج؛ ميزوا الحدود ولا تخلطوها. إذا كنتم ترغبون في أن تكونوا مع بعضكم، فشرط ذلك هو الاتفاق حول المبادئ والتصريح الواضح بها. المبادئ ليست طويلة وتفصيليّة. المبادئ عبارة عن بضعة أصول هامّة:

١ ـ أوّل هذه الأصول هو الاعتقاد العمليّ بولاية الفقيه؛ أي أن تنصتوا إلى نصائحه، وتطبّقوا من أعماق القلب توصياته وملاحظاته بوصفه طبيباً حقيقيّاً من الناحيتين الشرعيّة والعلميّة. إنّ الشّرط الأساسي لكلّ من يسعى في الجمهوريّة الإسلاميّة لاستلام مسؤوليّة معيّنة أن يكون لديه اعتقاد حقيقي وعمليّ بولاية الفقيه. أنا لا أقول بالولاية التنوّريّة ولا بالولاية القانونيّة؛ فلا تحلّ أيّ من هاتين مشكلة الوحدة؛ الولاية القانونيّة خاصّة بعامّة النّاس من

مسلمين وغير مسلمين، إلّا أنّ الولاية العمليّة خاصّة بالمسؤولين الذين يريدون حمل أعباء البلد الجسيمة على عاتقهم، خصوصاً وأنه بلدٌ إسلاميّ قدّم كلّ هؤلاء الشهداء.

٢ ـ الاعتقاد الحقيقي بالجمهوريّة الإسلامي وركيزتها الأساسية من أخلاق وقيم وصولاً إلى المسؤوليّات؛ سواء المسؤوليّة قبال الشعب أو قبال الإسلام.

٣ ـ توظيف أفراد أنقياء وأصحاب عقيدة يخدمون الشعب، لا أولئك الذين إنّ استلموا مكتباً في إحدى القرى يجدّدون ذكريات الإقطاعيّين السابقين.

٤ ـ فليجعلوا التصدّي للفساد والابتعاد عن الفساد والبهارج مسلكًا ومنهجاً لهم.

٥ ـ أن يعتبروا احترام النّاس وخدمتهم خلال فترة حكمهم وتولّيهم لأيّ مسؤوليّة نوعاً من أنواع العبادة وأن يعتبروا أنفسهم خدماً حقيقيين، ومطوّرين للقيم، لا أن يطمسوا القيم بحجج واهية.

المسؤولون آباء المجتمع وعليهم أن يعتنوا بمسؤولياتهم فيما يخصّ تربية المجتمع والسهر عليه، لا أن يقوموا بسبب عدم اكتراثهم ولأجل بعض العواطف واستقطاب بعض الأصوات العاطفيّة العابرة بدعم أخلاق تروّج للطلاق والفساد في المجتمع وينتج عنها انهيار العوائل. الحكومات هي العامل الرئيس في تماسك العائلة وتشكّل من ناحية أخرى عاملاً هامّاً من عوامل تلاشيها. عندما يتمّ العمل بالمبادئ، فسوف يكون الجميع حينها على خطى القائد والثورة والجمهوريّة الإسلاميّة وسوف تنتج عن ذلك منافسة سليمة ترتكز على هذه المبادئ من أجل اختيار الأصلح.

خطاب لإخواني في الحرس الثوري والجيش ...

أخاطب إخواني الأعزّاء في الحرس الثوري والمنتسبين للجيش من الحرس: اجعلوا الشجاعة والقدرة على إدارة الأزمات معيار منح المسؤوليات عند اختيار القادة. من الطبيعي أن لا أشير إلى الولاية لأنّ الولاية ليست جزءاً بالنسبة للقوات المسلّحة بل هي أساس بقائها، وهي شرط لا يقبل الخلل.

والنّقطة الأخرى هي معرفة العدوّ في الوقت المناسب والإحاطة بأهدافه وسياساته واتخاذ القرارات والتصرف في الوقت المناسب؛ كلّ واحدة من هذه الأمور عندما لا تتمّ في وقتها سوف تترك أثراً عميقاً على انتصاركم.»

الخلاصة: الوصية التدبيرية

لم تغب الأمور الإدارية والتدبيرية للمجتمع عن فكر هذا القائد الكبير، فهو يتناول كل جوانب المجتمع الإسلامي، فنراه قد أشار إلى عدة أمور تنفع سياسي البلاد بصورة عامة، وهي:

١ ـ الاعتقاد العملي بولاية الفقيه. اي الإنصات إلى نصائحه والعمل على تطبيقها من اعماق القلب.

٢ ـ الاعتقاد الحقيقي بالجمهورية الإسلامية وركيزتها الأساسية من أخلاق وقيم وصولا إلى المسؤوليات.

٣ ـ توظيف أفراد اتقياء وأصحاب عقيدة يخدمون الشعب،

٤ ـ التصدي للفساد والابتعاد عنه، هو المسلك والمنهج المتبع لديهم.

٥ ـ خدمة الناس نوع من العبادة، أي أن يعتبروا احترام التي وخدمتهم خلال فترة مسؤوليتهم نوعا من أنواع العبادة، بل هم خدماً حقيقيين، ومطورين للقيم.

أي أن المسؤولين آباء المجتمع، فعليهم أن يعتنوا بمسؤولياتهم فيما يخص تربية المجتمع والسهر عليه،

٦ ـ معيار منح المسؤوليات هو الشجاعة والقدرة.

وهذا المعيار لا يتحقق عند كل أفراد المجتمع، فينبغي على المسؤول أن يختار الجدير والقادر على إدارة الأزمات.

٧ ـ معرفة العدو، وهذا المحور الذي يعد من أهم محاور الحياة اليومية، لأن الدفاع عن النفس أوضح كالشمس في رابعة النهار، فلابد من الإحاطة بأهدافه وسياساته،واتخاذ القرارات، والتصرف في الوقت.

انه من سليمان ٤

الرابع: جندي الإسلام من برج المراقبة

قال رضوان الله عليه مخاطباً العلماء والمراجع العظام

«لديّ كلمة مقتضبة من جنديّ قضى ٤٠ عاماً في الساحات للعلماء عظماء الشّأن والمراجع الكبار الذين ينشرون النّور في المجتمع ويمحقون الظّلمات، خاصّة مراجع التّقليد العظام. لقد رأى جنديّكم من برج المراقبة بأنّه لو تضرّر هذا النّظام فسوف يزول الدّين وما بذلتم لأجل قيمه ومبادئه الغالي والنّفيس في الحوزات العلمية. هذه العصور تختلف عن كلّ العصور، فلن يبقى من الإسلام شيء إذا أحكموا سيطرتهم هذه المرّة. النّهج الصّحيح يتمثّل في دعم الثّورة، والجمهوريّة الإسلاميّة وولاية الفقيه دون أي تردّد. يجب أن لا يتمكّن الآخرون خلال هذه الأحداث بأن يوقعوكم في الشّك والترديد يا من يتجلّى فيكم أمل الإسلام. جميعكم كنتم تكنّون الحبّ للإمام الخميني وتعتقدون بمساره. نهج الإمام الخميني هو مواجهة أمريكا والدفاع عن الجمهورية الإسلاميّة والمسلمين الواقعين تحت ظلم الاستكبار في ظلّ راية الوليّ الفقيه. لقد كنت أرى بعقلي المتواضع كيف أنّ بعض الخنّاسين حاولوا ولا زالوا بكلماتهم وتقمصهم مواقف الحق أن يدفعوا المراجع والعلماء المؤثّرين في المجتمع إلى التزام الصّمت والوقوع في الشكّ والترديد. الحقّ واضح؛ الجمهورية الإسلاميّة والمبادئ وولاية الفقيه تراث الإمام الخميني ﵀ وينبغي أن يحظى بدعم حقيقي. إنني أرى سماحة آية الله العظمى الخامنئي

وحيداً وفي منتهى المظلوميّة. هو بحاجة إلى دعمكم ومساعدتكم وعليكم أيّها الأجلّاء والعظام أن توجهوا المجتمع نحو دعمه عبر خطاباتكم ولقاءاتكم وتأييدكم. فإذا نال هذه الثورة سوء فلن يعود حتى زمن الشّاه الملعون، بل سيعمل الاستكبار على ترويج الإلحاد البحت والانحراف العميق الذي لا عودة عنه.

أقبّل أياديكم المباركة وأعتذر لهذا الكلام، فقد كنت أودّ أن أذكر ذلك خلال تشرّفي بلقاءاتكم المباشرة لكن التوفيق لم يحالفني. جنديّكم ومقبّل أياديكم.»

الخلاصة:

لما جعل الله تعالى الإسلام ذا تعاليم لم يتقبلها الكفار والعلمانية، وجدت ابراج مراقبة ورصد يتابع تحركات العدو في كل مكان،

وهنا قائد فرقة «الجمجمة لله» يتقدم الركب ويستطلع تحركات العدو، ثم يقدم تقرير إجمالي لحصون الدين الإسلامي وهم العلماء، إذ يقول:

«لدي كلمة مقتضبة من جندي قضى ٤٠ عاما في الساحات للعلماء عظماء الشأن،.....

لقد رأى جنديكم من برج المراقبة بأنه لو تضرر هذا النظام فسوف يزول الدين وما بذلتم لأجل قيمه ومبادئه الغالي والنفيس في الحوزات العلمية....

فلن يبقى من الإسلام شيء إذا احكموا سيطرتهم...»

وهذا الكلام يمثل تقرير مرفوع من جندي إلى قائده في الساحة، إذا

يبين معالم النهج الصحيح، وفق تحركات العدو، والمعالم هي:

١ـ النهج الصحيح يتمثل في دعم الثورة، والجمهورية الإسلامية وولاية الفقيه دون أي تردد.

٢ـ عدم الشك والتردد في التعاليم الإلهية.

٣ـ نهج الإمام الخميني العظيم رضوان الله عليه هو مواجهة أمريكا.

الخامس: عوائل الشهداء

قال رضوان الله عليه:

وأخاطب عوائل الشهداء ...

أبنائي وبناتي، يا أبناء الشهداء، يا آباء وأمّهات الشهداء، أيّتها الأنوار المشعّة في بلادنا، يا إخوان وأخوات وزوجات الشهداء الوفيّات المتديّنات! الصوت الذي كنت أسمعه في هذا العالم بشكل يومي وأستأنس به فيغمرني بالسّكينة كصوت القرآن وكنتُ أعتبره أعظم سند معنوي لنفسي، هو صوت أبناء الشّهداء الذي كنتُ أستأنس به يوميّاً في بعض الأحيان؛ وصوت آباء وأمّهات الشّهداء الذين كنت ألمس في وجودهم وجود والدي ووالدتي.

أعزّائي! فلتدركوا قيمة أنفسكم ما دمتم روّاد هذا الشّعب. اجعلوا شهيدكم يتجلّى في ذواتكم، بحيث يشعر كلّ من يراكم بوجود الشهيد في أنفسكم، ويشعر بنفس الروحانيّة والصلابة وكافّة الخصائص.

ألتمس منكم الصّفح عني وبراءة الذمة. لقد عجزتُ عن أداء حقّ الكثيرين منكم ولم أوفِّ أيضاً حقّ أبنائكم الشهداء، فاستغفر الله وأطلب العفو منكم.

وأرغب أن يحمل أبناء الشهداء جثماني على أكتافهم، علّ الله عزّ وجلّ يشملني بلطفه ببركة ملامسة أيديهم الطاهرة لجسدي.

الخلاصة:

حيث يقول رضوان الله عليه:

«يا أبناء الشهداء، يا آباء وأمهات الشهداء، أيتها الأنوار المشعة في بلادنا.....

أعزائي فلتدركوا قيمة أنفسكم ما دمتم رواد هذا الشعب، اجعلوا شهيدكم يتجلى في ذواتكم.....»

الكلام عن عوائل الشهداء كثيرٌ جدا، ولكن سليماني العشق رضوان الله عليه، قد عبر عنه بكلمات معدودة مادةً ولكنها بحرٌ حقيقة.

حيث يذكرهم بأنهم هم النور الذي يشع في المجتمع، وهم السند المعنوي الذي يُستند إليه في الملمات.

ثم يبين وظيفة عائلة الشهيد نفسها تجاه شهيدهم، حيث يشعر كل من يراكم بوجود الشهيد في أنفسهم، ويشعر بنفس الروحانية والصلابة وبقية الخصائص الممدوحة.

ثم يقول رحمه الله:

«ألتمس منكم الصفح عني وبراءة الذمة، لقد عجزت عن أداء حق الكثيرين منكم ولم أوفِ أيضا حق أبنائكم الشهداء فاستغفر الله واطلب العفو منكم.

وأرغب أن يحمل أبناء الشهداء جثماني على أكتافهم، عل الله عز وجل يشملني بلطفه ببركة ملامسة أيديهم الطاهرة لجسدي....»

وهنا يطلب من عوائل الشهداء امرين مهمين، براءة الذمة، والتبرك والتوسل بهم إلى الحق تعالى لكرامتهم عليه.

انه من نصر الله ١

خلال أيام وانا ابحث عن خطابات درة لبنان ومفخرة المجاهدين المقاومين، واذا بي اجد كنزاً عظيماً من كلماته التي شعلت انواراً في درب المقاومين على طوال عشرات السنين.

ولكني اخترتُ منها ثلاث كلمات، وهي:

الأولى: اعرفوا الحق[١]

عندما ارتحل الإمام الحسين عليه السلام من قصر بني مقاتل: فبينما كان عليه السلام يسير، أخذته خفقة نوم خفيفة، فانتبه قائلاً: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين»، وكرّر هذه العبارة مرّتين أو ثلاثاً. عندها، جاءه ابنه عليّ الأكبر وهو على فرسه وقال مثل ما قال أبوه: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين»، ثمّ قال: «يا أبتِ، جُعلت فداك، ممّا حمدت الله واسترجعت؟». فأجابه الإمام الحسين عليه السلام: «يا بنيّ، إنّي خفقتُ برأسي خفقة، فإذا فارسٌ على فرس يقول: (القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم)، ففهمت أنّ المنيّة قد نزلت بنا، وأنّ الموت يسرع نحونا». فسأله عليّ الأكبر: «ألسنا على الحقّ؟»، فردّ عليه عليه السلام: «بلى، والذي إليه مرجع العباد». فقال: «إذاً، لا نبالي أن نموت محقّين». فأثنى عليه الإمام عليه السلام بكلماتٍ عظيمة: «جزاك الله من ولدٍ خير ما جزى ولداً عن والده.

---

(١) من كلمة لسماحته (رضوان الله عليه) بتاريخ: ٧/ ٧/ ٢٠٢٤م نقلاً عن مجلة بقية الله العدد ٤٠٧.

اعرفوا الحقّ

إنّ الله سبحانه وتعالى هو الحقّ، وكلّ ما جاء به أنبياؤه ورسله هو الحقّ أيضاً. وهو داعي الخلق إلى ذلك، وهاديهم إليه.

يسأل الإنسان: ماذا يريد الله منّا في هذه الدنيا؟ يقول الله لعباده المؤمنين: أوّلاً، اعرفوا الحقّ. وأوّل خطوة في معرفته هي البحث عنه والسعي إليه، في كلّ صغيرة وكبيرة. ففي كلّ أمرٍ من أمور الحياة يوجد حقّ وباطل؛ فالعدل والإنصاف حقّ، والظلم والتفضيل بين المتساويين باطل. والبحث عنه يعني هنا: أن نتعلّم، ونسأل، ونتأمّل، ونفكّر. وثمّة الكثير من أوجهه، واضح بيّن، كعين الشمس، وقد أعطانا الله العقل والفطرة السليمة لنتمكّن من إدراكه.

فكلّ ما يمكن أن يُعيننا على معرفة الحقّ في هذه الحياة، قد وفّره الله لنا: في أنفسنا، والطبيعة، وآيات السماء والأرض، وبعثة رسله وأنبيائه. وإذا كان وجود إلهين يؤدّي إلى فساد السماوات والأرض كما قال الله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢)، فكيف يكون هذا الكون الشاسع المنظّم لولا إله واحد قويّ حكيم؟

ثمّة أمور تحتاج إلى سؤال، وبحث، ورجوع إلى العلماء والأنبياء، حتّى يبين الحقّ فيها، لأنّ تركها للعقل وحده أو للفطرة فقط قد يؤدّي إلى الضلال. فمن لم يسأل، ولم يبحث، ولم يُتعب نفسه في طلب الحقّ، سواء في الدين أو السياسة أو الأخلاق أو الموقف، فهو جاهل مقصّر، سيُسأل ويُحاسب يوم القيامة، بخلاف الجاهل غير المقصّر الذي لم تتوفّر له الوسائل ولا الفرص، فهو معذور.

انصروا الحقّ

المطلوب، إذاً، أن نبحث عن الحقّ، وبعد البحث عنه نعرفه؛ لأنّ العلم

والمذاكرة والتدقيق هي الوسائل التي توصلنا إلى معرفته. ومن بعد ذلك، يأتي القبول القلبيّ له، والمرحلة الصعبة حقّاً هي الاعتراف به باللسان، فكثير من الناس يعرفونه في قلوبهم لكنّهم يتردّدون في إعلانه أو يحجمون عنه. ثمّ بعد ذلك، تأتي مرحلة أصعب: العمل بالحقّ والالتزام به، سواء كان لصالحك أو عليك، أو في مالٍ، أو شهادةٍ، أو موقفٍ، أو غيرها. والدرجة الأعلى في ذلك هي نصرة الحقّ، حتّى متى طُلب منك التضحية بفلذة كبدك، فعليك التضحية به، كما فعل الإمام الحسين عليه السلام، أو أن تصبر على الجرح والثكل والفقد، كما فعلت عائلته وأهل بيته. فنصرة الحقّ ليست كلمات تُقال، بل دمٌ يُراق، وقلوبٌ تُبذل، وحياةٌ تُستنزف في سبيله.

كربلاء رمز الصراع بين الحقّ والباطل

«لبّيك يا حسين» لا تعني فقط البكاء أو التعزية، بل هي دعوةٌ حقيقيّة إلى نصرة الحقّ اليوم. كربلاء رمز الصراع بين الحقّ والباطل، بين الجبهة التي تحمل العدالة الإلهيّة وتلك التي تمثّل الطغيان والظلم.

وما قصّة الإمام الحسين عليه السلام إلّا تذكير بأنّ معركة الحقّ ليست فقط بالأمس في كربلاء، بل هي مستمرّة اليوم، وفي كلّ زمان. وقد كان على الناس آنذاك أن يتّخذوا موقفاً، وليس فقط أن يعرفوا الحقّ أو يؤمنوا به في قلوبهم أو ينطقوا به بألسنتهم، بل أن يقفوا معه بفعل حقيقيّ، وأن ينصروه بأموالهم وأرواحهم ودمائهم.

وهذا ما نحتاجه اليوم: أن نعي أنّ ثمّة حقّاً واضحاً جليّاً أمامنا، لا يحتاج إلى نقاشات طويلة ولا استدلال معقّد، كالشمس في رابعة النهار. وهو قضيّة فلسطين والأرض الفلسطينيّة المحتلّة، من غزّة إلى الضفّة، ومن لبنان إلى سوريا، حيث الاحتلال الصهيونيّ الذي يغتصب الأرض ويقتل الأهل ويدمّر البيوت.

إنّ هذا الحقّ واضحٌ عند الأمم والقوانين والضمائر، سواء من خلال المعايير الدينيّة أو الأخلاقيّة أو القانونيّة أو الإنسانيّة. ومن هنا، فإنّ قول «لبّيك يا حسين» اليوم يتطلّب منّا أن نتّخذ موقفاً، ونكون إلى جانب الحقّ، بكلماتنا وبأفعالنا، وبحضورنا ومسؤوليّتنا.

تجلّيات الحقّ: نصرة فلسطين

إخواني وأخواتي، من يتجاهل ما يجري في غزّة، وما يتعرّض له الشعب الفلسطينيّ من مجازر وأسر واعتقال، فهو ميّت القلب والعقل والروح، لا مشاعر إنسانيّة فيه.

لا أتحدّث هنا عن الجانب السياسيّ أو العسكريّ، بل عن الموقف الإنسانيّ البسيط، ذلك الذي يستدعي منّا أن نتألّم لأخينا الإنسان، وأن نحسّ بآلامه. ومعرفتنا بالواقع يجب أن تقودنا إلى المسؤوليّة، ونصرة الحقّ، والوقوف إلى جانب المظلومين، ضمن القدرة المتاحة.

الله عزّ وجلّ لا يطلب من الناس ما لا يطيقون، لكنّه يسألهم عمّا استطاعوا فعله. فمن قال إنّك لا تستطيع أن تفعل شيئاً؟ إنّ كثيراً من الناس قادرون على الكثير، فابحثوا عن ما يمكنكم تقديمه: هل هو دعوة، تعاطف، موقف، كلمة حقّ، أو حتّى تفاعل بسيط مع الحدث؟

كلّ من بلغ سنّ التكليف ـ رجلاً كان أو امرأة ـ سيقف يوم القيامة ليُسأل عن موقفه من فلسطين ومن قضيّة هذه الأمة، وعن ما قاله، وفعله، وقدّمه. فيكون جوابه جاهزاً في الدنيا، قبل أن يُسأل عنه في الآخرة، حيث لا عذر ولا مهرب، ويظهر كلّ شيء في كتابٍ ناصعٍ لا يُكذِّب صاحبه. وذلك من أهمّ الامتحانات الكبرى التي تواجه البشريّة اليوم.

ألسنا على الحقّ؟

نحن مسؤولون عن نصرة الحقّ، حتّى لو علمنا أنّ هذا الموقف سيواجَه بالاتّهامات، والضجيج، وكلمات التثبيط والتشكيك، فإنّنا لا نبالي. فإن كنّا لا نخاف الموت، فكيف نخاف أقلّ منه؟ وإن كنّا مستعدّين للتضحية بكلّ غالٍ ونفيس، فكيف نأبه بالأقوال التي تعبّر أحياناً عن الضعف، وأحياناً عن الخيانة؟

عندما ننصر الحقّ، نتحمّل التبعات السياسيّة، ونواجه هدم البيوت، وارتقاء الشهداء، وجراحات الإخوة والأحبّة، وفي قلب كلّ ذلك، لا يتزعزع موقفنا ولا نتراجع لحظة واحدة، لأنّنا نقول: «ألسنا على الحقّ؟»، فيجيب القلب والإيمان: «بلى، والذي إليه مرجع العباد!».

الثانية: طاعة الوليّ في زمن الغيبة[١]

إنّ من أهمّ وظائف المؤمنين في زمن الغيبة الكبرى، هي تربية الأمّة والناس، وخصوصاً شيعة الإمام المهديّ عجل الله فرجه، على طاعته؛ إذ قد يكون الكثير من الناس متديّنين، يصلّون صلاة الليل، ويقرأون القرآن، لكن تشير بعض الروايات إلى أنّ المشكلة حين ظهور الإمام عجل الله فرجه، تكمن في بعض النخب الذين لن يقبلوا به عجل الله فرجه، بل ويشكّكون في أنّه ابن فاطمة عليها السلام؛ وهذا يعني أنّهم سيكونون قساةً معه، فكيف يمكن ضمان عدم انحراف القاعدة الشعبيّة، كما حصل في معركة النهروان مع الخوارج حين رفعوا السيف في وجه إمامهم أمير المؤمنين عليه السلام ؟ ونحن نعرف معاناة الأئمّة مع أصحابهم طوال التاريخ؛ فالإمام عليّ عليه السلام كانت مشكلته مع أصحابه قبل معاوية، فلو كانوا على قدر من الوعي والبصيرة، لكان تغيّر وجه التاريخ.

حادثة التحكيم في صفّين

ثمّة مفاصل مهمّة في التاريخ، لو اتّخذ أصحابها موقفاً غير الذي كان، لكان المسار التاريخيّ للأمّة والبشر مختلفاً، تماماً كحادثة التحكيم في حرب صفّين.

---

(١) من كلمة لسماحة السيّد حسن نصر الله (رضوان الله عليه)، بتاريخ: ١٢/ ٦/ ١٩٩٩م. نقلا عن مجلة بقية الله العدد ٣٩٨.

كان جيش الإمام عليّ عليه السلام على مشارف النصر النهائيّ على جيش معاوية، وكان مالك الأشتر على باب خيمة معاوية بن أبي سفيان، الذي كان في أسوأ حالاته، إلّا أنّ الحيلة التي ابتدعها عمرو بن العاص في مسألة الاحتكام إلى القرآن، غيّرت وجه المعركة، فدبّ النزاع في جيش الإمام عليّ عليه السلام، ووصل الأمر إلى أن رفع بعض أصحابه السيوف عليه عليه السلام، فطلب الإمام عليه السلام من مالك أن يرجع، فصار جدل داخل جيشه عليه السلام، حتّى اضطرّ عليه السلام إلى أن يرضخ للتحكيم حتّى لا يقع القتال في جيشه، وتكون الكارثة الكبرى. ولو لم تحصل هذه الحادثة يومها، وقتل مالك الأشتر معاوية بن أبي سفيان، لانتهت الفتنة في الأمّة، ولتمكّن الإمام عليّ عليه السلام من أن يقيم حكم العدل، ويمتدّ العدل في التاريخ.

المشكلة: عدم طاعة الإمام عليه السلام

انظروا إلى هذا المفصل التاريخيّ الخطر والمهمّ. أين كانت المشكلة؟ هل في إطاعة أصحاب الإمام عليه السلام له؟ هؤلاء كانوا يخرجون مع الإمام عليه السلام، ويقاتلون معه في حروبه كلّها؛ قاتلوا في حرب الجمل وصفّين، بقوا أشهراً عدّة يقاتلون. ولكن، في اللحظة الحاسمة، خذلوا الإمام عليه السلام، ورفضوا طاعته، ورتّبوا على ذلك مظلوميّة شديدة للإمام عليّ عليه السلام، وفرضوا عليه التحكيم. وانظروا مَن وضع عمرو بن العاص للتحكيم؛ كان الإمام عليّ عليه السلام يريد أن يختار عبد الله بن العبّاس حكماً من قِبَله، لكنّ الجماعة أرادوا أبا موسى الأشعريّ، وإن لم يوافق الإمام عليه السلام، ستراق دماء، فاضطرّ إلى القبول، وماذا حصل بعد ذلك؟ كانت نتيجة التحكيم سيّئة، فقد ثبّت عمرو بن العاص معاوية، وخلع أبو موسى الأشعريّ الإمام عليّاً عليه السلام. وكلّ الذين فرضوا على الإمام عليّ عليه السلام أن يقبل التحكيم قالوا له عليه السلام: «إنّك

أخطأت، وكفرت بقَبول التحكيم، وعليك أن تتوب»، متذرّعين بقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (الأنعام: ٧٥)، ونسوا أنّهم مَن فرض عليه القَبول به. ليست المشكلة في التراجع عن موضوع التحكيم، بل في طلبهم التوبة، والتوبة بما تعنيه أن يسلّم الإمام عليه السلام أنّه كفر، والعياذ بالله.

وكذلك الذين قاتلوا في معركة النهروان، كانوا يقيمون صلاة الليل، وكانت الكوفة في الليل تضجّ من أصوات تلاوتهم وتسبيحهم وعبادتهم، هؤلاء كانوا يدّعون أنّهم العبّاد الزهّاد الأتقياء الورعون، أوصلوا إمامهم إلى هذا المكان، وانشقّ الخوارج حتّى قُتل عليه السلام على يد أحدهم.

وكذلك المشكلة كانت نفسها في مرحلة الإمام الحسن عليه السلام مع أصحابه، وستكون هي ذاتها مع الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه.

طاعة وليّ الأمر

من أهمّ المسائل المطلوبة والمرجوّة هي الطاعة المطلقة للإمام المهديّ عجل الله فرجه، حتّى ورد في بعض الأحاديث، أنّ من أهمّ مواصفات أصحاب الإمام المهديّ عجل الله فرجه، طاعة الفقيه العادل الجامع للشرائط، وحين نعصيه، نكون قد عصينا بالفعل الإمام المهديّ عجل الله فرجه، وعندما لا نطيعه فإنّنا نعصي إمامنا عجل الله فرجه، ولا نبالي بأمره. فطاعة وليّ الأمر هي الحجّة الإلهيّة، وهي معيار طاعة الإمام المهديّ عجل الله فرجه وميزان هذه الطاعة في زمن الغيبة الكبرى. ومَن لا تساعده نفسه ولا يساعده دينه ولا عقله ولا تساعده شهواته ولا أهواؤه ولا ميوله على طاعة نائب المهديّ عجل الله فرجه، لن يكون مطيعاً للإمام عجل الله فرجه عند الظهور، بل ستكون الحجّة عليه ألزم وأقوى؛ وهذا ما يجب أن تتمرّن عليه قواعد الإمام عجل الله فرجه. ففي زمن الغيبة، إذا لم يكن المرء متمرّساً على الطاعة سيحيد، وسينكر أيضاً أنّه ابن فاطمة عليها السلام لكثرة ما يرونه من الإمام المهديّ عجل الله فرجه من

قتل للظالمين والطواغيت والمستكبرين والفاسدين والمفسدين، لن يستطيعوا أن يفهموا فعله عجل الله فرجه. وفي الحقيقة، إنّ من أوجب الواجبات في زمن الغيبة الكبرى، أن نربّي قواعد الإمام عجل الله فرجه على التديّن والتقوى، وأن نتدرّب بطاعة الوليّ الفقيه على طاعة الإمام عجل الله فرجه.

خلاصة القول: إنّ الوظيفة الشرعيّة الملقاة على أتباع هذا الدين وهذه الرسالة في زمن الغيبة الكبرى، هي طاعة وليّ الأمر، واتّباع أمره وخطّه ونهجه، وإنّ المطروح ليس القعود، وإنما العمل الدؤوب، إن شاء الله.

انه من نصر اللّه ٣

الثالثة: مقاومتنا روحها حسينيّة[١]

أود أن أتحدث عن المقاومة الإسلامية، عن هذه المسيرة، بوصفها إحدى نتائج كربلاء العظيمة بعد مئات السنين. وهذه المقاومة بما عانته وما أنجزته وما زالت فيه اليوم، هي شاهدٌ تاريخيٌّ معاصرٌ على حياة كربلاء وقوة الحياة والتأثير في كربلاء وفي شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وفي انتصار الدم على السيف.

مقاومتنا أسّست على التقوى

لقد أسّست المقاومة الإسلامية على التقوى من أول يوم، منذ الأيام الأولى، في اجتياح عام ١٩٨٢م، التقى رجالٌ مؤمنون علماء وأساتذة للتعامل مع مستجد كبير وخطير وتاريخي في بلدنا؛ الاجتياح الإسرائيليّ للجنوب، وخلال أيام قليلة بات العدوّ على مشارف العاصمة والضواحي في سياق مشروع سياسي أميركي، إلى حدّ أن روّجت حينها بعض الصحف عنوان «دخول لبنان في العصر الإسرائيليّ». السؤال المركزي: ما هي المسؤوليّة الشرعيّة علينا بوصفنا مؤمنين بالله تعالى، والقيام بها وفيه رضى الله سبحانه وتعالى وطاعته، وفي تركها معصية الله عز وجل وغضبه؟ وهو ما نعبّر عنه الآن بالتكليف الشرعيّ.

---

(١) ن خطاب لسماحة شهيد الأمّة السيد حسن نصر الله (رضوان الله عليه)، بتاريخ: ٣١/ ٧/ ٢٠٢٢م. نقلاً عن مجلة بقية الله العدد ٣٩٩.

انطلقت المقاومة الإسلاميّة من هذا السؤال أمام هذا الطارئ العسكري والأمنيّ والسياسيّ والاستراتيجيّ والتاريخيّ.

من واجب أي إنسان يؤمن بالله سبحانه وتعالى ويؤمن باليوم الآخر، يعلم أنّ الدنيا فانية، وأنَّ الحياة الأبدية هي الآخرة، وأنّ ثمّة حساباً بين يدي الله سبحانه وتعالى ويوم القيامة، كما ورد في الآيات وكما فسّر بشكل واضح ودقيق الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه): ثمّة نوعان من الحساب: الأوّل حساب أفراد، كلّ فرد يحاسب ويُسأل عن حقوق الآخرين عليه من أمّه وأبيه وزوجته وأبنائه وجيرانه وحلاله وحرامه وطعامه وشرابه. والثاني حساب الجماعات؛ الأمم، الأقوام؛ أي أنّنا يوم القيامة نحاسب جماعةً، مثلاً نحاسب عن الشؤون العامّة التي هيّ مسؤولية الشعب، أو الذين ينتمون إلى جماعة معيّنة سيُسألون عن سلوكهم وعن أدائهم وعن أقوالهم وعن أفعالهم، عن حربهم وعن سلمهم.

التكليف الشرعيّ ثقافة كربلاء

بدأنا بهذه الخلفية الفكرية، وهذا أحد أهمّ دروس كربلاء، فالإمام الحسين عليه السلام انطلق من خلال تشخيصه تكليفه الإلهي والشرعي تُجاه الإسلام وتُجاه الحاضر والمستقبل، وأنّه لا يستطيع أن يسكت على يزيد، وأن يواجهه ولو أدى ذلك إلى القتال وإلى الشهادة. من الخطأ ربط كربلاء فقط بالصفات الشخصية للإمام الحسين عليه السلام، بمعنى أنّه نهض لأنه كان شجاعاً أبيّ الضيم، لأنّ الإمام الحسن عليه السلام كان كذلك أيضاً، إذاً المسألة لا ترتبط بالصفات الشخصية، بل بالتكليف والمسؤولية الملقاة على عاتق المُكلّف على ضوء الظروف والتهديدات والفرص والأوضاع وما شاكل. المسألة الرئيسية إذاً في فهم كربلاء تبدأ من أنَّ الحسين عليه السلام نهض على ضوء الأحداث

والظروف والمخاطر والتهديدات والفرص. في مسيرتنا المباركة يجب أن يبقى الأصل دائماً هو أن نبحث عن تكليفنا الشرعيّ لنؤديه، وبالطبع تحديده يتم بعملية تُلاحظ المبادئ والقواعد والأصول الإسلامية والإيمانية، والظروف والمعطيات والفرص والتهديدات والمصالح والمفاسد. وهذه الأمور يرُجع فيها إلى أهل الاختصاص الفقهيّ والعلميّ والمهنيّ والفنيّ والتقنيّ.

إخلاص المسيرة حسينيّ

ثانياً عندما نذهب إلى أداء التكليف، يجب أيضاً أن نكون صادقين مع الله سبحانه وتعالى مخلصين في عملنا لله سبحانه وتعالى، وأن نؤمن بأنّ هذا الجهاد هو في سبيل الله، هو جهدٌ وتعبٌ وسهرٌ وخدمةٌ وعناءٌ وتحملٌ واحتسابٌ وتضحيةٌ في عين الله وفي سبيل الله سبحانه وتعالى، عندها يكون لمقاومتنا الكثير من النتائج الدنيوية فضلاً عن النتائج الأخروية. وهذا ما تعلّمناه من الإمام الحسين عليه السلام، الذي كان حريصاً أن يصحب معه إلى كربلاء الصادقين المخلِصين المخلَصين، وكان صريحاً جداً معهم، عندما جاء نبأ استشهاد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة صارحهم الحسين عليه السلام؛ ليميّز الخبيث من الطيب، ليبقى الصادق وينسحب من جاء من أجل شيءٍ من حطام هذه الدنيا الفانية. حتى ليلة العاشر عندما أحلَّ أصحابه من البيعة وقال لهم: «ألا إنَّ هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً» أراد أن يرتقي بهم إلى أعلى مستوى من الصدق والنقاء والصفاء والإخلاص لله سبحانه وتعالى، في قتالهم وفي ثباتهم وفي جهادهم. هذه ميزة في مسيرتنا أيضاً، نحن شهدنا الكثير من هذا الإخلاص لدى المجاهدين وعوائل الشهداء والجرحى وعوائلهم والأسرى، ولدى المسؤولين الإخوة والأخوات، ولدى الناس في بيئتنا، ولدى جمهور المقاومة، الذين احتضنوا وصبروا وضحّوا.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منا منافسةً في سلطان ولا التماس شيءٍ من فضول الحطام، ولكن لنردَّ المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك؛ فيأمن المظلومون من عبادك». لأنّك يا ربّنا هذه إرادتك ومشيئتك، فنحن لا نبحث عن حطام في هذه الدنيا، لا نبحث عن حطام هذه الدنيا.

تحمّل التضحيات حسينيّ

هذه المقاومة منذ البداية كان صدقها وإخلاصها لله عزّ وجل من البدايات من الخطاب إلى التبليغ إلى الدعوة إلى هذا الخيار إلى الاستقطاب إلى التنظيم إلى التشكيل إلى التدريب إلى معسكرات التدريب متدرِّبين ومدرَّبين، إلى الالتحاق بمجموعات العمليّات إلى تنفيذ الكمائن إلى العمليات الاستشهادية، إلى الشهداء، إلى تحمل الجراح إلى الأسرى في السجون، إلى التبعات إلى الهدم إلى الدمار إلى كلّ ما حصل حتّى اليوم، خلال أكثر من أربعين عاماً لم يكن منافسةً في سلطان، إنّما أداءً لتكليفنا الإلهيّ الشرعيّ؛ ليأمن عباد الله، ولتتحرر الأرض التي احتلت ظلماً وعدواناً؛ ليكون للناس كرامتهم وسعادتهم وهناءة عيشهم. هذا لله عزّ وجل.

بكل صدق وصراحة، أوّل عشرين سنة، عندما كنّا نتحدّث عن نصر عسكريّ وسياسيّ، كنّا نراه بعيداً، لكنّنا كنا على يقين به لثقتنا بالله، وأنَّ النصر بيده، وسيأتي، لكن لم نكن نعلم متى سيأتي.

كثيرون من تلك الحقبة ارتفعوا شهداءً وهم في ريعان الشباب، ولم نكن نأمل أن نعيش إلى اليوم، وأن تشيب لحانا، فقد كنّا نتوقع الشهادة والكمائن والغارات والعبوات والاغتيالات والمؤامرات والحروب على طول الطريق، لكنّ الله نصرنا.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين المظلومين وعلى الشهداء الابرار من الاولين والاخرين

٢٢/ صفر الخير/ ١٤٤٧هـ.